حدود مشعر مزدلفة
رؤية فقهية هندسية
في ضوء السنة المطهرة

إعداد

أ.د. عمر سراج أبو رزيزة
الأستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز

د/ محمد عبدالغني القميري
الأستاذ المساعد بجامعة الملك عبدالعزيز

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اختص الله تعالىٰ هذه الأمة بخصائص عديدة ومكرمات كثيرة، ورد بعضها نصا في القرآن الكريم ،وبعضها في أحاديث رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ يتعرف عليها من يقرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية بتمعن وتروٍ، ويجيل ناظريه وبصيرته في حِكَم ومرامي التكاليف الشرعية التي تعبدنا المولىٰ الكريم بها. من هذه المكرمات التي تضمنتها التشريعات والتكاليف الإسلامية ما يستشعره قلب المؤمن المتدبر في شعائر فريضة الحج.

مزدلفة مشعر من مشاعر الحج، يبيت فيه الحجاج ليلة عيد النحر أو يمكثون فيه بعضاً من هذه الليلة المباركة بعد إفاضتهم من عرفات، وقبل دفعهم إلىٰ منىٰ.

وللمبيت بهذا المشعر تفصيلات من حيث حكمه، أركن هو أو واجب ، وقد اختلفت في ذلك أقوال الفقهاء، كما اختلفت أقوالهم أيضاً في وقت أدائه، والقدر من الليل الذي يجزئ في المبيت ليدفع بعده الحاج متوجهاً إلىٰ منىٰ ، وقد حوت كتب تراثنا الفقهي تفصيلات هذه الأحكام. وليس من أهداف هذا البحث تحري هذه الأحكام وعرضها، ولكن يكفي إلقاء الضوء عليها بشيء من الإجمال، فيما بعد، تتميماً للفائدة.

قد يبدو لبعض الناس أن في شعائر الحج تكليفا ومشقة، لكنها في الحقيقة تكريم ورحمة لهذه الأمة المرحومة. إننا نجد في هذه الفريضة دعوة إلىٰ التجمع في بقاع معينة، في أوقات معينة يكون لها في هذه الأوقات خصوصية معينة، ثم تعود هذه البقاع بعدها أماكن خاليه من السكان بل ومن أي نشاط بشري، لكن يظل لهذه الأماكن المقدسة منزلتها، فهي مصونة موقَّرة لا يُتعدَّىٰ علىٰ أرضها ، ولا تُستغَل إلا كمشاعر لها قدرها واحترامها.

ومن أسباب هذه الخصوصية أن الله سبحانه جعلها سوقا للرحمة والمغفرة والرضوان، يربح فيها الخير الكثير من لبَّوا نداء الرحمن، واجتمعوا شعثا، غبرا، ضاحين، مهللين، مستغفرين.

طلب المولىٰ منهم أن يدعوه ليستجيب لهم، وأن يستغفروه فيغفر لهم، ومن العجب أن يطلب المعطِي من المعطَىٰ، أن يستمنحه ليمنح، وأن يستعطيه ليعطي! إنه سبحانه هو الكريم الجواد، وهو لا شك منجز ما وعد. إنها رهبانية لا تدوم، لكن ثوابها الكبير يدوم. إن من خصوصيات هذه الأمةأنها تعطىٰ الأجر العظيم علىٰ العمل اليسير في الوقت القصير. قال تعالىٰ: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزىٰ إلا مثلها وهم لا يظلمون " [١]. نقول حين ينتهي وقت هذه الشعائر وبعدمغادرة الحجاج لها تعود هذه

[١] سورة الأنعام ، الآية (١٦٠).

المشاعر كما كانت أرضا فضاء يسير فيها السائرون، أو يلعب فيها الفتيان والشباب مع احتفاظها بقدسيتها ،وعلو مكانتها ،وعظيم منزلتها في قلوب المسلمين.

لم يكتب الله علىٰ المسلمين رهبانية مستمرة ربما لا يرعونها حق رعايتها، وإنما كتب عليهم تفرغـًا وانقطاعـًا يسيراً لشعائر معينة في زمن قصير. ليبلونا الرحمن أنلبي ونجيب، أم نتقاعس ونقصر. فإذا كانت الأولىٰ تفجرت ينابيع عطاءات الرحمة الإلهية التي هي مظهر من مظاهر التعامل بالفضل لا بالعدل، فتبارك الله الجواد الكريم.

من سمات مشعر مزدلفة صغر مساحته نسبيـًا، إذ إن مساحته الكلية الآن لا تتجاوز ٨.٨٢كم٢ ، الصالح منها للمبيت ٦.٧كم٢ تقريبـًا، والباقي مناطق جبلية وعرة لا تصلح لنزول الحجيج فيها. من هنا " فإن الباحثين يريان أن من الواجب إعمال الفكر، وشحذ العزائم في محاولة محمودة – إن شاء الله – لضم كل ما هو من أرض هذا المشعرإليه بحيث تكون مساحته كلها داخل حدود هذا المشعر، وبحيث تحفه جميعه العلامات المحددة له.

لقد قال الفقهاء إن وجوه الجبال التي تصرف مياهها في مشعري عرفة ومنىٰ هي من هذين المشعرين . وبمقدور المعاصرين من علماء المياه والمساحة والاستشعار عن بعد تحديد ذرا الجبال ووجوهها التي تصب

مياهها في المشعرين وحتىٰ بطون أودية وشعاب كل مشعر. فلم لا يطبق هذا فيهما وفي مزدلفة؟ وثم أمر آخر كان في الماضي عسيراً وهو الآن – بحول الله ـ يسير علىٰ مملكتنا الحبيبة الحريصة علىٰ تيسير أداء الحجاج لشعائرهم ، ألا وهو تمهيد الجبال الوعرة الواقعة داخل الحدود الشرعية لمزدلفة وإزالة ما يمكن إزالته منها حتىٰ تكون صالحة لنزول الحجاج فيها .

إن أعداد الحجاج في ازدياد مستمر، وقد صارت مساحات المشاعر جميعها غير قادرة علىٰ استيعاب تلك الأعداد، وخاصةً مشعر مزدلفة. من هنا كان إعداد هذا البحث ليلفت الأنظار إلىٰ دراسة مقترحات يخلص إليها في نهايته في محاولة لرفع الطاقة الاستيعابية لمشعر مزدلفة، بحيث يتمكن الجمهور الأعظم من الحجاج من النزول به، وذلك من خلال أنشطة عملية وتنظيمية تبلغنا ذلك دون الخروج عن الحدود الشرعية للمشعر.

والله نسأل أن يوفقنا إلىٰ كل ما فيه خير المسلمين ونفعهم.

دوافع الدراسة :

الحج فريضة العمر، حدد الله تبارك وتعالىٰ لأدائها بقعة معينة تضم عدة مشاعر مقدسة. يأتي الناس إليها من كل صوب وحدب، مخلِّفين وراء ظهورهم الأهل، والوطن، والمال، والعمل، يحدوهم الإيمان والطمع في مغفرة الله ورضوانه. وبتوالي الحقب والسنين تزداد أعداد الحجيج بصورة مطردة، وتظل المشاعر المقدسة في مساحاتها المتوارثة، فالمشعر منها الذي كان يضم في الموسم عشرة آلاف، أو عشرات أو مئات الآلاف صار الآن ينزله أو يحرص علىٰ النزول فيه الملايين، وفي وقت غير بعيد ستصير الأعداد أكبر مما هي عليه الآن بكثير.

ومن واقع أن الله تعالىٰ لم يكلف البشر إلا قدر الوسع، لا قدر الطاقة، ولا الجهد، و من واقع أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج ، وبالنظر إلىٰ القواعد الفقهيه كقاعدة : "المشقة تجلب التيسير، و " إذا ضاق الأمر اتسع"، "الحرج مرفوع شرعـًا" – مع علمنا بأن إعمال هذه القواعد وأمثالها بالطبع إنما يكون دون الخروج علىٰ نص صحيح ثابت – نقول في إطار هذا لابد من أن يُعمل كل منا فكره، ويقدح ذهنه للوصول إلىٰ ما يحفظ للحجاج كمال مناسكهم، كما يحفظ لهم أرواحهم من مشكلات الزحام وأخطاره.

إن من بين ما دفع الباحثين إلىٰ دراسة هذا الموضوع دعوة بعض الفقهاء المعاصرين إلىٰ إعادة دراسة حدود مزدلفة مستدلاً ببعض الأحاديث، وبعض أقوال الفقهاء المعتبرين، وبعض الجغرافيين. ومن الدوافع أيضـًا إلىٰ إعادة النظر في حدود مزدلفة ما اتسم به قرار لجنة ترسيم الحدود التي شكلت سنة ١٣٩٣هـ من أن حدود مزدلفة لم تحظ بإجماع الأعضاء، وأن القرار اتخذ بناءً علىٰ رأي الأكثرية، مما يدل علىٰ أن بعض الأعضاء لم يوافق علىٰ ما تضمنه القرار. وأن من يكلفون بوضع الأعلام ربما لا يلتزمون تمامـًا بما قررته اللجان، وقد حدث هذا في الحدود الشمالية لعرفات حسبما أفاد أحد أعضاء اللجنة (هو الأستاذ/ منصور أبوسمنة القرشي).

هدف الدراسة :

يستهدف الباحثان تدبير أماكن شرعية للحجاج ليلة عيد النحر في مزدلفة – أشد أوقات الحج مشقة عليهم – وذلك بمناقشة هذا الموضوع القديم الجديد من منظور شرعي وهندسي في ضوء الكتاب والسنة وأقوال العلماء المعتبرين ، مؤملَين أن يسفر عملهما هذا عن ما يريح خواطر الحجيج، ويسرّهم بإكمال أنساكهم – التي منها النزول بمشعر مزدلفة في وقت الأداء لهذه الشعيرة – وذلك بالعمل علىٰ أن يفيد الحجيج من كامل مساحة المشعر، وتوفير مساحة ينزلون فيها خارج المشعر عند امتلائه حتىٰ يتمكنوا

من دخوله لأداء شعيرتهم.

منهجية الدراسة :

١.المنهج الاستقرائي : حيث تتبعت الدراسة نصوص الأحاديث والآثار الواردة عن بعض الصحابة والتابعين والفقهاء من بعدهم بشأن مشعر مزدلفة فيما يتعلق بحدوده، وأحكام الشعيرة التي تؤدىٰ فيه، ووقت أدائها، ومقدار الوقت الذي يتحقق به الأداء.

٢.المنهج المقارن : حيث قارنت بين ما ورد من الآثار والنصوص المتعلقة بحدود المشعر قديمها والحديث للوصول إلىٰ الراجح منها.

٣.الإفادة من آراء المذاهب الفقهية المختلفة في حكم وقَدْر ووقت المبيت سعيـًا إلىٰ تمكين أكبر عدد ممكن من الحجاج من النزول بمزدلفة في وقت الأداء عن طريق الدفع والإخلاء.

٤.دراسة الواقع : من خلال المشاهدة البصرية لحدود المشعر، والعلامات المحددة له والوقوف علىٰ مدىٰ مطابقتها للحدود الشرعية.

٥.الإفادة من معطيات العلوم الحديثة كالهندسة، والمساحة، والجغرافيا والاستشعار عن بعد، لاتخاذ بعض التدابير العملية

والتنظيمية التي تزيد الطاقة الاستيعابية لمزدلفة.

٦.القياس : قياس امتداد جموع الحجيج النازلين بين عرفة ومزدلفة علىٰ امتداد صفوف المصلين خارج المسجد مؤتمين بالإمام داخله. انطلاقًا من فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء رقم (١٠٨٨٤) التي تنص علىٰ جواز مبيت الحاج خارج منىٰ في أقرب مكان يلي منىٰ إذا تعذر عليه الحصول علىٰ مكان له داخل حدودها[١]، وأيضًا من فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –[٢]، وما جاء أيضًا في فتاوىٰ الشيخ صالح الفوزان[٣].

٧.تطبيق قول الفقهاء في عرفة ومنىٰ علىٰ المزدلفة، وذلك قولهم : إن وجوه الجبال التي تقابل المشعر وتصرف مياهها فيه هي جزء من المشعر.

[١] فتوىٰ رقم (١٠٨٨٤) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد عبدالرزاق الدويش، نشر دار العاصمة، الرياض.

[٢] مجموع الفتاوىٰ لابن عثمين، ٢٣/ ٢٥٤ ط. دار الثريا بالرياض.

[٣] المنتقىٰ من فتاوىٰ الشيخ صالح الفوزان، ٥/ ١٦٧، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المبحث الأول

مزدلفة في اللغة وسر تسميتها بهذا الاسم

خلال استعراض معاني المادة المشتقة منها كلمة مزدلفة سنعرض سر تسمية المشعر(مزدلفة) لأن الفقهاء والمعجميين قد بينوا ذلك السر علىٰ خلاف بينهم فيه، ولأن جمهور اللغويين يقرون بوجود ملحظ دلالي لأجله يشتق الاسم من مادته اللغوية، ولغتنا لغة اشتقاقية كما هو معروف.

قال الخليل بن أحمد : " أزلفته: قربته، وازدلف: اقترب، وسميت المزدلفة لاقتراب الناس إلىٰ منىٰ بعد الإفاضة من عرفات. (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)[1].

وقال ابن فارس : " ز ل ف: الزاء واللام والفاء" يدل علىٰ اندفاع وتقدم في قرب إلىٰ شيء، يقال من ذلك : ازدلف الرجل: تقدم، وسميت مزدلفة لاقتراب الناس إلىٰ منىٰ بعد الإفاضة من عرفات، ويقال : لفلان عند فلان زلفىٰ، أي قربىٰ، قال الله عز وجل : (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)

[1] كتاب العين للخليل بن أحمد، ٧/ ٣٦٨ ط، تحقيق مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي. ط أولىٰ. وزارة الثقافة بالعراق.

[١]. وجاء في صحاح الجوهري: الزلفة والزلفىٰ : القربة والمنزلة، ومنه قوله تعالىٰ (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ) [٢]. ومزدلفة موقع بمكة المكرمة[٣].

مما تقدم يظهر أن هؤلاء المعجميين الرواد ومن نقل عنهم يذهبون إلىٰ أن مادة **(ز ل ف)** تدل علىٰ القرب والدنو، كما ذكر هذا المعنىٰ أيضاً الزجاج فيما حكىٰ عنه ابن سيده، وعن ابن سيده نقل صاحب لسان العرب وغيره[٤].

واعتبر هؤلاء أن مزدلفة سميت هكذا؛ لاقتراب الناس بها إلىٰ منىٰ بعد إفاضتهم من عرفة.

---

[١] سورة ص، الآية ٤٠ ، مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ج٣،٢١، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، ط. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

[٢] سورة سبأ، الآية ٣٧، المقاييس ٣/ ٢١.

[٣] تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ص ١٣٧، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت١٩٨٤

[٤] المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٩/ ٤٨ تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، وانظر لسان العرب، ص ١٨٥٣، ط. دار المعارف، مصر.

قال ابن حجر: سميت المزدلفة إما لاجتماع الناس بها، أو لاقترابهم إلىٰ منىٰ، أو لازدلاف الناس منها جميعـًا، أو للنزول بها في كل زلفة من الليل، أو لازدلاف آدم إلىٰ حواء بها"[١].

وجمع ابن سيده من أقوال العلماء ما جعله يقرر أن (**ز ل ف**) تدل علىٰ القرب والدنو من الشيء كما تدل أيضًا علىٰ الجمع. يقول – رحمه الله – : " وأزلف الشيء قربه، وازدلفه: أدناه إلىٰ هلكة ... وأزلف الشيء : جمعه، حكاه الزجاج عن أبي عبيدة". ولم يرتض ابن سيده أن تكون مزدلفة من (**ز ل ف**) بمعنىٰ قرب، وقال : " ومزدلفة، والمزدلفة : موضع بمكة، قيل : سميت بذلك لاقتراب الناس إلىٰ منىٰ بعد الإفاضة من عرفات"[٢]. ثم عقب مستنكراً: "ولا أدري كيف هذا؟".

واختار (أي ابن سيده – رحمه الله –)أن تكون الكلمة مأخوذة من أزلف الشيء : جمعه، وذلك كما حكىٰ الزجاج قال : قال أبوعبيدة : ومزدلفة

---

[١] فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الحج حديث رقم ١٦٧٤ باب من جمع عنهما ولم يتطوع، ٣/ ٥٢٣، ط بيروت، دار المعرفة أشرف علىٰ طبعه محب الدين الخطيب.

[٢] هذا قول الخليل الذي تناقلته المعاجم عنه، وقد ذكرته سابقـًا .

من ذلك، ألا تراهم سموها جَمْعا. وقوله تعالىٰ (**وأزلفنا ثم الآخرين**)[١]. معناه : جَمَعْنا، وقيل : قرّبنا من الغرق، وكلاهما حسن، لأن جمعهم: تقريب بعضهم من بعض.[٢] ، ولعل سائلاً يقول : لم رفض ابن سيده أن تكون مزدلفة من أزلف بمعنىٰ قرب؟. ونقول لو كان الأمر كذلك لكانت الصيغة مزدَلفة أي المكان الذي يَقْرُب نازله من منىٰ كما قيل، لكن لم يقل بفتح اللام أحد، ومن ثم فالصيغة اسم فاعل (مزدلِفة) بكسر اللام بمعنىٰ المقتربة أو الجامعة، وهذا غالبًا هو المقصود، ولهذا أسماها الرسول صلىٰ الله عليه وسلم جَمعا، وذاك لأنها تجمع الحجيج بعد إفاضتهم. فنحن نؤيد ابن سيده العالم المعجمي النحوي فيما ذهب إليه.

وقيل سميت جمعا لأن الحجيج يجمعون فيها بين المغرب والعشاء. وقد جمع ياقوت الحموي ما قيل في سر تسمية هذا المشعر فقال: " اختُلف في سبب تسميتها بذلك ، فقيل مزدلفة منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع ... وقيل من الازدلاف لأنها مقربة من الله، وقيل لازدلاف آدم وحواء بها، أي لاجتماعهما، وقيل لنزول الناس بها في زلف الليل، وهو جمع أيضًا. وقيل لأن الناس يزدلفون فيها إلىٰ الحرم، وقيل إن آدم وحواء تعارفا بعرفة واجتمعا

[١] سورة الشعراء، الآية ٦٤.

[٢] المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، ج٩، ص ٤٨٠

بالمزدلفة فسميت جمعًا ومزدلفة"[١].

وحكىٰ الزركشي قول الكلبي : سميت مزدلفة ، لأن الناس يدفعون منها زُلفة جميعا يزدلفون منها إلىٰ موضع آخر.[٢]

وقد ذكر الفاكهي تعليلاً آخر لتسمية مزدلفةحيث قال: " وإنما سميت مزدلفة لمزدلف الناس عنها، وأنهم لا يقيمون بها"[٣]، وكأنه جعل الازدلاف من المتضاد – وهو الكلمة التي تدل علىٰ المعنىٰ وضده – فتكون دالة علىٰ الاجتماع والتفرق، وهذا لم يقل به أحد غيره فيما قرأنا.أو أنه جعل الفعل ازدلف من الأفعال التي يحدد معناها حرف الجر بعدها مثل رغب فيه ورغب عنه، ومبلغ علمنا أن هذا أيضـًا لم يرد. وإن جاز لنا أن نجتهد في سبب تسمية مزدلفة فإن الباحثين مع تأييدهما لما ذكر ابن سيده الأندلسي يريان أن من الجائز أيضا رجوع التسمية إلىٰ القرب من الله عز وجل، حيث إن نازلي

[١] معجم البلدان لياقوت الحموي، ٥/ ١٢٠، ١٢١ بتصرف يسير، ط دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

[٢] إعلام الساجد في أحكام المساجد للإمام الزركشي ص٧١ تحقيق الشيخ أبوالوفا المراغي ،ط. المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة سنة ١٩٩٩م.

[٣] أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي، ٤/ ٣١٢ تحقيق د. عبدالملك بن دهيش، ط دار خضر، بيروت، ١٩٩٤م.

مزدلفة قريبون من الله، لأنهم في عبادة من أعظم العبادات، وفي مكان من أشرف الأماكن هم فيه مكثرون لذكر الله عز وجل (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)[١] والذاكر قريب من الله عز وجل (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)[٢]. فالله يذكر العبد حين يذكره، وآنئذ فهو قريب منه سبحانه وتعالىٰ، ثم إن الذاكر في معية الله عز وجل، وهل هناك قرب أكثر من المعية أي الصحبة؟ يبين ذلك الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه..."[٣]. قال الزمخشري : " ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلىٰ الله أي يتقربون بالوقوف فيها[٤].

نقول هذا ونتوقع أن يقول قائل إن علة التسمية هذه موجودة أيضا في

---

[١] سورة البقرة، الآية ١٩٨.

[٢] سورة البقرة الآية ١٥٢.

[٣] صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، حديث رقم ٧٤٠٥، ج١، ص ٦١٦.

[٤] الكشاف للزمخشري، ١/ ٤١١، تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود وآخرين، ط. مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ١٩٩٨م.

عرفة وفي منىٰ، حيث يكون الحاج قريبا من الله عز وجل، ونقول إن الشيء إذا سمي باسم لعلة فيه فلا يجوز أن يسمىٰ غيره بهذا الاسم وإن وجدت فيه هذه العلة، قال أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ):" سميت القارورة لاستقرار الشيء فيها، ولا يسمىٰ كل مستقر فيه قارورة، وكذا سميت الدار دارا لاستدارتها، ولا يسمىٰ كل شيء مستدير دارا"[١].

أسماء أخرىٰ لمزدلفة وسر التسمية بها.

لمزدلفة عدة أسماء أشهرها الاسم الذي سبق الحديث عنه.

وثانيها : جَمْع : وقد ورد هذا الاسم فيما روي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: " نحرت ههنا ومنىٰ كلها منحر... ووقفت ههنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :" قال لي رسول الله غداة جمع هلم القُط لي فلقطتُ له حصيات هُنَّ حصىٰ الخذْف فلما وضعهن في يده قال : نعم بأمثال هؤلاء و إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[٣].

---

[١] لمع الأدلة لابن الأنباري، ص٩٩-١٠٠ ، تحقيق سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧م.

[٢] صحيح مسلم، ٢٠/ ٨٨١ حديث رقم ٢٩٥٢، موسوعة الحديث، الكتب الستة.

[٢] رواه أحمد مسند عبد الله بن عباس رقم ١٨٧٦ طبع دار المنهاج .

روىٰ الأزرقي قال: قال ابن جريج: " قلت لنافع مولىٰ ابن عمر: أين كان ابن عمر يقف بجمع كلما حج؟ قال علىٰ قزح نفسه"[١].

قيل سميت جمعاً لأن آدم وحواء اجتمعا بها. روىٰ الفاكهي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام بالهند، وأهبط حواء بجدة، ولا يعلم واحد منهما بمكان صاحبه حتىٰ اجتمعا بجمع فسميت جمعًا لاجتماعهما بها[٢].

سر تسمية مزدلفة جمعا: مما تقدم يتضح أنها سميت بهذا الاسم إما لاجتماع آدم وحواء بها، أو لأن الحجيج يجتمعون فيها، أو لأن الحجيج يجمعون فيها بين المغرب والعشاء[٣].

ونقول: إن الكلمة في الأصل مصدر جمع يجمع جَمعْا، وعليه يكون المصدر مستعملاً بمعنىٰ اسم المكان، فجمع أي مكان اجتماع الحجيج، أو مكان جمع الصلاتين (المغرب والعشاء)، أو مكان اجتماع آدم وحواء، أو لكل هذه الأشياء.

---

[١] أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي، ص ٧٩٧. تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، ط. مكتبة الأسدي، مكة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.

[٢] أخبار مكة للفاكهي، ٤/ ٣١٢.

[٣] انظر حاشية ابن حجر الهيتمي علىٰ شرح الإيضاح في مناسك الحج للنووي ص٣٢٠ ط. دار الحديث - بيروت سنة ١٩٨٥م.

وثالثهما: المشعر الحرام: قال تعالىٰ :(فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)[١] المشعر مَفْعَل من شَعَر، أي المَعْلم وأصله من قولك شعرت بالشيء إذا علمته، وليت شعري ما فعل فلان، أي ليت علمي بلَغَه وأحاط به، وشعار الشيء أعلامه، فسمي الله تعالىٰ ذلك الموضع بالمشعر الحرام لأنه معلم من معالم الحج[٢]. ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن المشعر الحرام هو جبل قزح فقط، قال الزمخشري: " والأصح أنه قزح وهو آخر حد المزدلفة"[٣]. وقال القرافي : " والمشعر الحرام : جبل بالمزدلفة يقال له قزح"[٤].

من هذا يتضح أن المقصود بالمشعر الحرام في الآية مزدلفة كلها، وهذا هو المشهور، وهو في الأصل جبل قزح فقط، والذين قالوا ذلك استدلوا

[١] سورة البقرة، الآية ١٩٨.

[٢] التفسير الكبير للفخر الرازي، ٥/ ١٩٣، ط. دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

[٣] تفسير الكشاف، ٤١١، تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود وآخر، ط مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨م.

[٤] الذخيرة للقرافي، ٣/ ٢٦٣، تحقيق : محمد بوخُبزة. دار الغرب الإسلامي، ط. بيروت، ١٩٩٤م.

بما جاء في حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم:" .. حتىٰ أتىٰ المزدلفة فصلىٰ بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبّح بينهما شيئًا ثم اضطجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ طلع الفجر، فصلىٰ الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتىٰ أتىٰ المشعر الحرام فاستقبل القبلة ..."[١].واختار أبو حيان هذا مستدلاً بالحديث السابق، وأيضـًا بكلمة (عند)، وقال: " في الآية ثَمّ جملة محذوفةُ التقديرِ فإذا أفضتم من عرفات، ونمتم بالمزدلفة فاذكروا الله عند المشعر الحرام، ومعنىٰ العندية هنا القرب منه"[٢].

يؤكد ما ذهب إليه أبو حيان أيضًا، قول الإمام الجويني – رحمه الله – "... ويؤخرون المغرب إلىٰ العشاء، ويجمعون بينهما بمزدلفة، وتمد المطايا أعناقها، حتىٰ إذا وافوا مزدلفة باتوا بها، فإذا انتصف الليل أخذوا في التأهب للرحيل ثم إذا استقلت بهم المطايا وانتهوا إلىٰ المشعر الحرام وهو آخر

[١] صحيح مسلم، الحديث رقم (٢٩٥٠) باب حجة النبي ٢/ ٨٨١، الكتب الستة، وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، ٥/ ٣١٥، تحقيق .د. ابن دهيش، ط. دار خضر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

[٢] تفسير البحر المحيط لأبي حيان، ٢(١٠٥، تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود وآخر، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

مزدلفة وقفوا ودعوا...."[١] .

وقد تكلم الفقهاء كثيراً في هذا، بعضهم يرىٰ أن المشعر الحرام جميع مزدلفة وبعضهم يرىٰ أنه قزح فقط[٢]، والأمر يسير، وكلا الفريقين مصيب.

فنحن مع من يذهبون إلىٰ أن المشعر الحرام في الأصل هو جبل قزح؛ لأن مجيء الظرف (عند) يشير إلىٰ ذلك، وإلا لتطلب السياق حرف الجر (علىٰ) بدلاً من (عند)، علىٰ أن إطلاق المشعر الحرام علىٰ مزدلفة جميعها غير بعيد، إذ يكون المركب الوصفي هذا مستعملاً استعمالاً مجازيًا فهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل علىٰ سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية؛ لأن قزح جزء من مزدلفة. وهو أشهر أجزائها، وهذا كاستعمال القرآن الكريم "عتق رقبة" والمراد عتق عبد، وخصت الرقبة بالذكر لأنها جزء مهم في الإنسان.

---

[١] نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين، ٤/ ٣١٥، تحقيق: د. عبدالعظيم الديب، طبع دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ.

[٢] انظر تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام لابن الصباغ، ٤٦٣-٤٦٥، تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، ط. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، فقد جمع كثيراً من أقوال العلماء في هذه المسألة.

ووصف المشعر بالحرام: لأنه ممنوع أن يفعل فيه ما نهىٰ عنه من محظورات الإحرام. لأن مزدلفة تقع داخل حرم مكة[١]. وقال الزمخشري : " ووصف بالحرام لحرمته"[٢]. وأكد النووي هذا بقوله : " ومعنىٰ الحرام المحرم الذي يحرم فيه الصيد وغيره، فإنه من الحرم"[٣].

ونقول : معلوم أن التسمية بالمشعر الحرام مرجعها ما ورد في القرآن الكريم (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)[٤]فلما ورد في الآية مشعران أحدهما غير حرام وهو "عرفات" والآخر حرام (أي داخل حدود حرم مكة المكرمة) وهو مزدلفة ميز الثاني بوصف **"الحرام"**، وصار المركب الوصفي علماً علىٰ مشعر مزدلفة.

---

[١] نهاية المطلب ٤/ ٣١٥ بتصرف يسير.

[٢] الكشاف ١/ ٤١١.

[٣] المجموع للنووي شرح المهذب للشيرازي، ٨/ ١٤٧، تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة (د.ت).

[٤] سورة البقرة، الآية ١٩٨.

المبحث الثاني

موقع مزدلفة ومظاهر سطحها ومساحتها

أولاً : الموقع:

تقع مزدلفة جنوبي شرق مكة المكرمة متوسطة بين مشعري منىٰ وعرفات. (انظر الخريطة رقم١). وهي تبعد عن المسجد الحرام بحوالي ١٠كم تقريبـًا، ويفصل مزدلفة عن منىٰ وادي محسر، وعرضه لا يكاد يتجاوز ٥٠٠م تقريبـًا، وقد اتصل المشعران ببعضهما الآن حيث إن خيام منىٰ قد تداخلت مع حدود مزدلفة ممتدة عبر وادي محسر.

وتبعد مزدلفة عن عرفات حوالي ٩ كم تقريبـًا، ويربط بينهما الآن أحد عشر طريقـًا حديثا منها طريق مخصص للمشاة مزود بصنابير للمياه يشرب منها الحجاج الذين يقطعون المسافة سيراً علىٰ الأقدام ابتغاء الأجر من المولىٰ الكريم.

ثانيـًا : مظاهر السطح:

قام ويقوم الباحث الأول بأبحاث عن إعمار عين زُبيدة التي تمر قنواتها عبر مزدلفة، لذا، فإن رحلاته إليها كثيرة ومتعددة فهو بها خبير. وقد استلفت نظره أن جهاتها الشرقية والشمالية وعرة جدًا لا يكاد الحاج يجد فيها

مكانًا مستويًا، فالقادم من عرفة، (الواقعة في الحل) يقطع وادي عرنة ويدخل أراضي الحرم لأن وادي عرنة في جهة عرفة يفصل بين الحل والحرم، ويستمر الحاج في السير غربًا قرابة تسعة كيلومترات فيمر بمناطق جبلية وعرة جداً في ممرات بين تلك الشعاب مُهدت من قبل الحكومة السعودية، وأنشئت فيها بعض الطرق المرصوفة، ثم ينتهي إلىٰ أرض منبسطة فسيحة يقع المشعر الحرام في الجزء الجنوبي الغربي منها، وفي هذا المنبسط أو المُفضَىٰ ينزل الحجيج، أما المناطق الوعرة فلا يكاد ينزل فيها إلا النزر اليسير من الناس لوعورتها وصعوبة النوم والصلاة والراحة فيها. وينتهي ذلك المنبسط غرباً بوادي محسر الذي يفصل بين مزدلفة ومنىٰ. وهذا الوادي (محسر) ليس من مزدلفة كما جاء "عن ابن عمر – رضي الله عنهما– عرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة، وجمع كلها موقف إلا وادي محسر"[١]. (انظر الخريطة رقم ١). إنه منطقة بين المشعرين لا تنتمي لأي منهما. وقد بينت الزيارات الميدانية أن منىٰ ومزدلفة قد تداخلتا، وبنىٰ فوق وادي محسر جسر هو جسر الملك فيصل

[١] الاستذكار لابن عبدالبر، حديث رقم ١٧٨٨٣، كما أورد ابن عبدالبر أحاديث أخرىٰ عن ابن عباس وغيره بنفس المعنىٰ وبقريب من اللفظ، ج١٣، ص ١٠-١٥. تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط. دار قتيبة، دمشق، بيروت، دار الوعي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

يربط بين الشمال والجنوب لنقل الحركة بعيداً عن الوادي وما فيه . وقبيل المفضىٰ بحوالي ثلاثة أرباع كيلو متر يجد الحاج لوحات تبين بداية مزدلفة. وإذا استمر الحاج صوب منىٰ فإنه يجد بعد أن يتجاوز الجسر لوحات تبين نهاية مزدلفة (انظر الخريطة رقم٢).

ويبلغ طول مزدلفة حوالي ٣٢٠٠ متر تقريبـًا وعرضها حوالي ٢٩٠٠ متر في المتوسط وذلك يشمل الأراضي المنبسطة والجبلية الوعرة معًا، وقد حسبت المساحة الكلية ومساحة الأراضي المنبسطة والجبلية الوعرة ودونت في الجدول المرفق رقم (١) .

وبعد هذه العلامات (علامات بداية حدود مزدلفة) توجد مسافة تفصل بينها وبين منىٰ ثم تبدأ لوحات أخرىٰ توضح بداية منىٰ، رغم أن خيام منىٰ ممتدة إلىٰ ما بعد تلك العلامات جنوبي وغربي مزدلفة، وما ذاك إلا لعدم استيعاب منىٰ للحجاج، ناهيك عن مزدلفة أيضا.

وستتبنىٰ هذه الدراسة الدعوة إلىٰ تطبيق ما اتفق عليه فقهيا وهندسيـًا من أن وجوه الجبال التي تصب مياهها في مكان ما، تكون داخلة ضمن حدود هذا المكان. وليس هذا بالأمر الجديد، فقد نص فقهاؤنا الأقدمون عليه فقالوا مثلاً : إن وجوه جبال منىٰ والتي تصب مياه أمطارها في منىٰ هي من منىٰ.

قال أبو الحسن البصري الماوردي : أما حدود منىٰ فقد ذكر الشافعي أنها ما بين وادي محسر –(وليس محسر منها)– إلىٰ العقبة التي عندها الجمرة الدنيا إلىٰ مكة، وهي العقبة التي بايع رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – عندها الأنصار قبل الهجرة، وليس ما وراء العقبة منها، وسواء سهولها وجبالها وعامرها وخرابها، فأما جبالها المحيطة بجنباتها فما أقبل منها علىٰ منىٰ فهو منها، وأما ما أدبر من الجبال فليس منها"[١].

وهو في هذا يشير إلىٰ قول الإمام الشافعي : " ومنىٰ ما بين العقبة – وليست العقبة من منىٰ – إلىٰ بطن محسر – وليس بطن محسر من منىٰ، وسواء سهل ذلك وجبله فيما أقبل علىٰ منىٰ، فأما ما أدبر من الجبال فليس من منىٰ"[٢].

كما قيل بشأن عرفة أيضـًا نفس الكلام، فقد ورد أن جبال عرفة التي تصب مياهها (مياه الأمطار المنحدرة من جبال عرفة) –جبل سعد وجبال الكباكبة– في عرفة هي من عرفة. قال إمام الحرمين (عبدالملك بن عبدالله

[١] أالحاوي الكبير للماوردي (أبو الحسن البصري)، ٤/ ١٨٣، تحقيق الشيخ علي معوض وآخرين، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[٢] الأم للإمام الشافعي، ج٣، ص ٥٦١، تحقيق : د. رفعت فوزي عبدالمطلب، ط. دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤٣٣هـ/ ٢٠٠١م.

الجويني) :" ويطيف بعرجات عرفة جبال وجوهها المقبلة من عرفة، وفي وسطها جبل يسمىٰ جبل الرحمة"[١]. وقياسًا علىٰ ذلك فإن وجوه الجبال التي تصب مياهها في مزدلفة[٢] هي من مزدلفة. ووفق هذا المبدأ فلابد من وضع علامات جديدة علىٰ ذرا الجبال توضح بدايات ونهايات مزدلفة تتحقق فيها هذه الحقيقة العلمية والفقهية أيضـًا، وقد بينا مواضعها المقترحة علىٰ الخريطة. انظر الخريطة رقم (٣) .

[١] نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين،٤/ ٣١١.

[٢] وقد نصت اللجان المشكلة لتحديد عرفات منذ أولاها التي شكلت عام ١٣٨٦هـ علىٰ ذلك. انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ج٣، ص ٦٨٠.

جدول رقم (١)

المساحة الحالية والمقترحة لمزدلفة

مواقع مزدلفة	المساحة (كم٢)	النسبة المئوية المضافة للمناطق المقترحة ٪
مساحة مزدلفة الحالية الكاملة	٨.٨٢	
المنطقة المقترحة " أ "	٢.٥٦	٢٩.٠٢
المنطقة المقترحة "ب"	٠.٢٥	٢.٨٣
المنطقة المقترحة "ج"	٠.٢٩	٣.٢٨
المنطقة داخل الجبل " أ "	٠.٠٧	١٩.٠٤
المنطقة داخل الجبل " ب "	٠.٣٠	
المنطقة داخل الجبل " ج "	٠.١٣	
المنطقة داخل الجبل " د "	٠.١٤	
المنطقة داخل الجبل " هـ "	٠.٨٥	
المنطقة داخل الجبل " و "	٠.١٧	
المنطقة الجزئية داخل الجبل " ر "	٠.٢٣	٣.٩٠
المنطقة الجزئية داخل الجبل " س "	٠.١٢	
المساحة الجبلية الوعرة	٢.٠٠	٢٢.٩٤
مساحة السهل المفضي بالمساحة الكلية الحالية والمقترحة	٦.٨٢	

المبحث الثالث

حدود مزدلفة : بين الحفاظ على الموروث وإعادة النظر فيه

أولاً : بين يدي الموضوع.

آن لنا الآن أن نبدأ مناقشة متأنية حول حدود مزدلفة، فالحال الآن تدعو إلىٰ ذلك، فمزدلفة بحدودها المعلمة الحالية، - نظراً لظروف الحجاج كما نراهم فيها ليلة يوم النحر في زماننا الحالي – تستوجب حدودها منا اهتماما ربما لم يستشعره علماء الأمة في القرون الخوالي لأن المشاعر كانت قادرة علىٰ استيعاب جميع الحجاج فلم تكن لديهم مشكلة تستدعي التفكير.

إن مناقشة هذه المسألة لابد أن تبدأ من استعراض بعض ما سجله أسلافنا من العلماء الموثوق بعلمهم، ثم نعرج علىٰ رؤىٰ بعض المعاصرين، حيث إن المعاصرين إذا أدلىٰ واحد منهم برأي، عارضه آخرون، والكل يحاول أن ينتصر لرأيه، مع أن الجميع حول نصوص معينة يدندنون، لكنهم يختلفون حول دلالات هذه النصوص. إننا نرىٰ النص واحدا ولكن فهمه مختلف. لقد ولدت هذه الحال لدىٰ الباحثَين دافعا قويا للبحث عن آلية علمية ترجح لنا رأيا دون غيره، بلا تحيز إلىٰ هذا أو ذاك، فما يؤيده المنهج العلمي وحقائقه الثابتة نلتزم به إذا لم يعارض نصا شرعيا صريحا ناهيك عن ما إذا وجدنا له من أقوال أئمة الفقهاء ما يؤيده.

لم يجد الباحثان بين النصوص التي أوردها المحدثون أو الأقدمون حديثا نبويا فيه بيان قاطع لحدود المزدلفة، ولكن جميع النصوص أخبار عن بعض الصحابة، وأخبار هؤلاء لا شك معتبرة ومُقدَّرة، لكنها تحتمل ما يقول المضيّق والموسع لتلك الحدود. بدليل الاختلاف في فهمها.

لقد أثار اهتمام الباحثين رسالة الدكتور عبدالعزيز الحميدي عن "المزدلفة – أسماؤها، وحدودها، وأحكامها"، فأخذا في تتبع ما كتب عن حدود هذا المشعر خاصة أن دراسة الدكتور الحميدي تضيف حوالي سبعة كيلو مترات مربعة تقريباً إلىٰ المشعر غير المستطيع الآن بأي حال استيعاب جموع الحجاج الذين يقصدونه للمبيت فيه، ثم إن طبيعته جبلية وعرة لا تصلح مساحة غير قليلة منه – وهو علىٰ وضعه الحالي – لمبيت الناس فيه .

دراسة الشيخ الدكتور الحميدي محاولة لفهم جديد لنصوص قديمة فهمناها فهما متوارثا، يحصر هذا الفهم مساحة مزدلفة داخل العلامات القائمة التي تحددها. وهذا العمل من الدكتور الحميدي جهد مشكور ينبغي أن نهتم به ونوليه من الدرس والمناقشة ما يرقىٰ إلىٰ قدر اهتمام دولتنا بمشكلة ضيق مساحة مزدلفة وغيرها من المشاعر ومحاولة إيجاد حلول لها، فلنرحب بدراسة كل رأي يسهم في حل لها خاصةً إذا كان صادراً عن عالم وفقيه نكنّ له ولعلمه الاحترام والتقدير.

لا يوجد خلاف حول الحد الغربي لمزدلفة وهو وادي محسر، لأن الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الإمام مالك قد فصل فيه وهو قوله بلغني أن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم– قال: "عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة ، والمزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن محسر.[١]" وعن محمد بن المنكدر أن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – قال: " عرفة كلها موقف وارتفعو عن بطن عُرنه، والمزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن محسر"[٢]. هذا، مع أنه يجب ألا نغفل أن مجرىٰ أي واد يتغير بفعل السيول علىٰ مر الزمن. بمعنىٰ أن نحت السيول لحافتيه تغير من مساحته.

قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن محمد بن عبدالمنذر عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – : " عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عُرنة، ومزدلفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن محسر، ومنىٰ كلها منحر، وللحاج مكة كلها منحر"[٣]. يقول النووي: " وقال

[١] الموطأ للإمام مالك حديث رقم (٩٥٠) ج٢/ ٥٤٣، سليم عبدالهادي السلفي، نشر مجموعة الفرقان التجارية، دبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٢] السنن الكبرىٰ للبيهقي رقم (٩٤٥٨) ٥/ ٨٦، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

[٣] نص رقم ١٧٨٨٢، الاستذكار لابن عبدالبر، ج١٣، ص ١٢.

الأزرقي والبندنيجي والماوردي صاحب الحاوي في كتابه الأحكام السلطانية وغيرهما من أصحابنا (أي الشافعية) وغيرهم : حد مزدلفة ما بين وادي محسر ومأزمي عرفة وليس الحدان منهما، ويدخل في المزدلفة جميع تلك الشعاب القوابل والظواهر والجبال الداخلة في الحد المذكور[١]. ومصدر هؤلاء جميعاً قول الإمام الشافعي في الأم : " والمزدلفة من حين يفضي من مأزمي عرفة، وليس المأزمان من المزدلفة، إلىٰ أن يأتي قرن محسر، وقرن محسر ما عن يمينك وشمالك من تلك المواطن؛ القوابل، والظواهر، والشعاب، والشحار كلها من المزدلفة"[٢].

يقع غربي مزدلفة وادي محسرالذي ورد النهي عن المبيت فيه في قول الرسول – صلىٰ الله عليه وسلم – : " والمزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر"[٣]. وهذا الوادي ليس من محسر كما أنه ليس من منىٰ. وهو في مكانه،

[١] المجموع للنووي، ٨/ ١٤٦.

[٢] الأم، ٣/ ٥٤٩.القوابل : سفوح الجبال ، الظواهر : ما غلظ من الأرض وارتفع ، الشحار : بطون الأودية ومجاري المياه .

[٣] سنن ابن ماجة من الحديث رقم (٣٠١٢)، ص ٨٨٠، ٨٨١، موسوعة الحديث الشريف، السنن الكبرىٰ رقم (٩٤٥٩) ٥/ ١٨٦.

لم يتحول عنه، علىٰ خلاف ما ذكر بعض الباحثين[١] الذي ذهب إلىٰ أن الخرائط الحديثة تثبت أن مكان الوادي الصحيح إلىٰ الشرق مما هو عليه أكثر من ١٠٠ متر ناحية مزدلفة، ولسنا مع هذا الرأي – مع احترامنا للعالم الفاضل – لأن موقع الوادي المتعارف عليه منذ القدم متوارث، وأن أي تغيير في حد من حدود المشاعر يرصده العلماء وشيوخ المنطقة، ولم يدل أي من هؤلاء بما يفيد تغيير مجرىٰ الوادي. كما أن للباحث الأول خبرة بالمنطقة ومعرفة بشيوخها، ولم يثبت لديه خطأ أحدهم في تحديد واد أو غيره من معالم مناطقهم. كما أن الزعم بأن الأمويين أخطأوا في وضع العلامات أمر لا يقره الباحث.

لكن الحد الشرقي هو موطن الخلاف، فهل يبدأ مشعر مزدلفة إلىٰ الغرب من عرنة مباشرة، أم أن هناك فاصلا بينه وبين عرنة لا يدخل فيه. بين رؤىٰ العلماء قديمها وجديدها نجيل الفكر راجين الله تبارك وتعالىٰ أن يرشدنا إلىٰ الصواب في إعادة قراءة ما اتفق أو اختلف عليه السابقون واللاحقون، فقديما نقل ياقوت عن أبي عثمان قوله " ليس علىٰ العلم أضرُّ من قولهم ما

[١] قائل هذا الأستاذ الدكتور معراج مرزا في جريدة مكة المكرمة في عددها رقم (١٥٧) بتاريخ ٢٠ شعبان ١٤٣٥هـ.

ترك الأول للآخر شيئا"[1]. فلنحاول حتىٰ وإن أوصلنا البحث إلىٰ التأكيد علىٰ ما هو متوارث. ولهذا البحث رؤىٰ أخرىٰ، واجتهاد آخر في محاولة لزيادة الطاقة الاستيعابية لمزدلفة.

أما الحدان الشمالي والجنوبي فلم يصل الباحثان إلىٰ تحديد واضح لهما في كتب تراثنا الفقهي أو التاريخي أو الجغرافي، لكن الدكتور عبدالملك بن دهيش لخص لنا تحديدها من كل جهاتها، وذلك من واقع تقرير اللجنة – لما نعلم من الافتقار إلىٰ نصوص قديمة واضحة محددة – التي شكلتها وزارة الحج عام ١٣٩٣هـ تلك اللجنة التي صدرت عن نصوص تراثية تتسم بإجمال لا يمكّن من الاهتداء إلىٰ قول فصل. ومن هنا فالدراسة ترىٰ أن اجتهاد أعضاء اللجنة قد أسهم بدور كبير في تحديدهم لمزدلفة خاصةً من جهة الشمال والجنوب. لكن هذا من ناحية أخرىٰ يجيز لنا أن نقول : ما دام للاجتهاد دور في عمل تلك اللجنة ، فلا يجوز أن نغلق الباب أمام عالم أهل للاجتهاد، إذا أثبت لنا بالأدلة صحة ما يقول، علىٰ أننا يجب ألا نغفل وجود العلامات المتوارثة حول المشاعر المقدسة وأنها من أهم الأمور التي تقوي وجهة القائلين بإقرار الحدود علىٰ ما هي عليه، كما يجب أن لا نغفل أقوال بعض

[1] معجم البلدان لياقوت الحموي ج١ ص١١ ط. دار صادر بيروت سنة ١٩٧٧م.

الشيوخ الذين عاشوا في منطقة المشاعر المقدسة، ومثلوا في لجنة تحديد المشاعر.

ثانيًا : القول بأن الحد الشرقي لمزدلفة يبدأ مع بداية حدود الحرم المكي ناحية عرفـــــة وأدلته.

القائل بهذا الدكتور/ عبدالعزيز الحميدي : حيث ذهب إلىٰ أن الحدود الشرقية لمزدلفة (ناحية عرفات) تبدأ مع حدود الحرم من هذه الناحية، ويعتمد في رأيه علىٰ إعادته قراءة آثار مروية عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم منها :

١ -حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - وقد أورده – نقلاً عن الإمام الطبري في تفسيره - بروايتين بينهما بعض الاختلاف، ويبدو أنهما ليسا أثرين، بل أثر واحد، لأن السائل واحد في كليهما، وهو التابعي عمرو بن ميمون الأودي، والمسؤول واحد هو الصحابي الجليل عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - ، والمسؤول عنه واحد وهو المشعر الحرام .

الرواية الأولىٰ : عن عمرو بن ميمون الأودي قال : سألت عبدالله بن عمر (هكذا عند د. الحميدي) عن المشعر فقال: إن تلزمني أُرِكه، فلما أفاض الناس من عرفة وهبطت أيدي الركاب في أدنىٰ الجبال، قال : أين السائل عن المشعر الحرام؟ قال : قلت ها أنا ذا، قال : أخذت فيه، قلت ما أخذت فيه؟

قال : حين هبطت أيدي الركاب في أدنىٰ الجبال فهو مشعر إلىٰ مكة"[١].

الرواية الثانية : عن عمرو بن ميمون أيضاً قال : سألت عبدالله بن عمر (هكذا عند د. الحميدي) عن المشعر الحرام ؟ فقال: إذا انطلقت معي أعلمتكه. قال : فانطلقت معه، فوقفنا حتىٰ إذا أفاض الإمام سار وسرنا معه، حتىٰ إذا هبطت أيدي الركاب، وكنا في أقصىٰ الجبال مما يلي عرفات قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ أخذت فيه، قلت: ما أخذت فيه؟ قال: كلها مشاعر إلىٰ أقصىٰ الحرم"[٢].

وقد رجح محقق تفسير الطبري (د. عبدالله التركي) أن الروايتين عن عبدالله بن عمرو (ابن العاص). وقبله قال بهذا البيهقي كما سنوضح بعد.

---

[١] المزدلفة للدكتور عبدالعزيز الحميدي، ص ١٢، والحديث في تفسير الطبري ٣/ ٥١٨ ،لابن عمرو، تحقيق: د. عبدالله التركي، ط. دار هجر - القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. وفسر الطبري قوله : " فهو مشعر إلىٰ مكة" فقال : وأما قول عبدالله بن عمرو حين صار بالمزدلفة : هذا كله مشاعر إلىٰ مكة فإن معناه أنها معالم من معالم الحج ينسك في كل بقعة منها بعض مناسك الحج، لأ أن كل ذلك المشعر الحرام الذي يكون الواقف حيث وقف منه إلىٰ بطن مكة قاضياً ما عليه من الوقوف بالمشعر الحرام، من تفسير الطبري"، ٣/ ٥٢٣. في محققة د. التركي" تهبطت أيدي الركاب" بدلاً من "هبطت".

[٢] المزدلفة، للحميدي، ص ١٢، ١٣. والحديثان في تفسير الطبري ٣/ ٥١٨.

٢ – حديث عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – : "عن عمرو بن ميمون أيضـًا قال : سألت عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن المشعر الحرام، فقال : إن اتبعتنا أخبرتك أين هو؟ قال : فاتبعته، فلما دفع من عرفة، ووضعت الركاب أيديها في الحرم قال : أين السائل عن المشعر ؟ قلت : هوذا ، قال : قد دخلت فيه، قلت إلىٰ أين؟ قال : إلىٰ أن تخرج منه"[١].

ما تقدم من الحديث بروايتيه، – إن جاز القول. يستدل به من يرىٰ أن مزدلفة تبدأ شرقـًا مع بداية الحرم، وحدودالحرم من جهة الشرق علىٰ مقربة من الحافة الغربية لوادي عُرنة.

وثم قول لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية قد يظاهر من يرىٰ امتداد مزدلفة شرقـًا إلىٰ ضفة وادي عُرنة الغربية، وإن كان فيه شيئ من التضارب وذاك قوله" : ومزدلفة كلها يقال لها المشعر الحرام، وهي ما بين مأزمي عرفة إلىٰ بطن محسر، فإن بين كل مشعرين حداً ليس منهما، فإن بين عرفة ومزدلفة بطن عُرنة، وبين مزدلفة ومنىٰ بطن محسر. قال النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – عرفة كلها موقف، وارفعوا عن بطن عُرنة، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن

[١] أخبار مكة للفاكهي، ٤/ ٣١٩، ٣٢٠.

بطن محسر، ومنىٰ كلها منحر وفجاج مكة كلها طريق"[١].

ثَمّ مقولة أخرىٰ لكنها لجغرافي ومؤرخ قديم هو ياقوت الحموي بدأها بكلمة "قيل" يقول : " قيل منىٰ من مهبط العقبة إلىٰ محسر، وموقف المزدلفة من محسر إلىٰ أنصاب الحرم"[٢].

لمناقشة هذه الأدلة نبدأ بآخرها، وهو عبارة ياقوت السابقة ؛ لأن القضية التي نتناولها بالبحث وإن كانت شرعية في الأساس إلا أنها جغرافية أيضـًا في الصميم. إننا حين نتتبع حديثه عن مزدلفة نجد تناقضا بين العبارة التي ذكرت، وبين قوله : " مزدلفة مبيت للحجاج، ومجمع للصلاة إذا صدروا من عرفات، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين"[٣].

فبطن محسر حد مزدلفة الغربي، والمأزمين في المقابل حد مزدلفة الشرقي، وعليه يظهر التناقض في عبارتيه هاتين، لكن يشفع للرجل أن مقولته الأخيرة سابقة للأولىٰ وروداً في الكتاب، وأن العبارة الأولىٰ صدرها بقوله " قيل " ليدل علىٰ أنها قول لغيره أما رأيه فهو ما حوته العبارة الثانية.

---

[١] مجموعة الرسائل الكبرىٰ لابن تيمية، ٢/ ٣٩٩، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، وانظر المزدلفة، د. الحميدي، ص ٣٣.

[٢] معجم البلدان لياقوت الحموي، ٥/ ١٩٨.

[٣] معجم البلدان، ٤/ ١٢١.

أما عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية فإنها مع دلالتها علىٰ إعادة النظر في الحد الشرقي لمزدلفة لكنها لا تؤيد صراحة امتداد مزدلفة شرقًا إلىٰ آخر حدود الحرم، إلا إذا نحن أغفلنا صدر عبارته وذلك قوله : " ومزدلفة كلها يقال لها المشعر الحرام، وهي ما بين مأزمي عرفة إلىٰ بطن محسر". فهو في هذا لم يختلف عن غيره من الفقهاء الذين اتفقوا علىٰ أن حدود مزدلفة الشرقية إنما تنتهي عند بداية مأزمي عرفة اللهم إلا إذا كان لمأزمي عرفة عند ابن تيمية مدلول آخر وأنه يرىٰ بداية المأزمين من الجهة الشرقية.

علىٰ أن البينية هذه لا تعني أن الفاصل مجاور لما يفصل بينه من كلتا ناحيتيه. فنحن حين نقول مثلاً مكة بين جدة والطائف، فإن هذا لا يعني مجاورتها لكل من هاتين المدينتين.

وعلىٰ ذلك فإن هذه العبارة لا تعني أكثر من الدلالة علىٰ عدم النزول في أي من الواديين عند قصد المشعر الذي يجاوره. وحين نقرأ قول تلميذه ابن القيم الجوزية: " ومحسر برزخ بين منىٰ وبين مزدلفة لا من هذه، ولا من هذه، وعُرنة : برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فبين كل مشعرين برزخ ليس منهما، فمنىٰ من الحرم وهي مشعر، ومحسر من الحرم وليس بمشعر، ومزدلفة : حرم

ومشعر، وعُرنة ليست مشعراً وهي من الحل، وعرفة حل ومشعر"[١]. فإننا نجد فيه ما يفسر قول شيخه ابن تيمية.

ثالثًا : مناقشة هذا الرأي: الآثار التي يدل ظاهرها علىٰ أن حد مزدلفة الشرقي ممتد إلىٰ بدايات حدود الحرم شرقًا فنقول وبالله التوفيق :

حديثا عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – : في رأي الباحثين – وليسا أول من قال ذلك – هما روايتان لحديث واحد[٢]، وذلك لما يلي :

١ –السائل واحد، وهو التابعي عمرو بن ميمون الأودي.

٢ – المسؤول أيضًا واحد، وهو الصحابي الجليل عبدالله بن عمر ابن الخطاب – رضي الله عنهما – علىٰ رأي من ذهب إلىٰ أن الحديث له.

٣ –المسؤول عنه شيء واحد، وهو حدود مزدلفة.

٤ –الأسلوب الحواري الذي يتسم به هذا الحديث واحد في الروايتين.

٥ –من غير المتصور أن يسأل تابعي جليل هو عمرو بن ميمون بعد أن عرف الإجابة، ربما ليتأكد فتكون الإجابة من صحابيين يقوي رأي أحدهما الآخر ولا يعقل أن يكون قد وجه السؤال لنفس المسؤول – عبدالله بن عمر –

---

[١] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم، ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

[٢] الروايتان أو الحديثان وردا في تفسير الطبري.

رضي الله عنهما- مرة بعد أخرىٰ. لكن، ألا يمكن أن يكون هذا التعدد تعدداً في الروايات لاختلاف الرواة؟ كل هذا وارد، وإنما نسوق هذه الملاحظات تناولاً للقضية من جميع جهاتها.

٤ -لم يرد الحديث عند الأزرقي وعند الفاكهي إلا برواية واحدة نسباها إلىٰ عبدالله بن عمرو بن العاص، ونص رواية الأزرقي : " عن عمرو بن ميمون قال : سألت عبدالله بن عمرو بن العاص ونحن بعرفة عن المشعر الحرام فقال: إن تبعتني أخبرتك، فدفعت معه حتىٰ إذا وضعت الركاب أيديها في الحرم قال : هذا المشعر الحرام. قلت : إلىٰ أين؟ قال : إلىٰ أن تخرج منه"[١]. ثم إن الأزرقي روىٰ بعده الأثر المروي عن ابن جرير عن عطاء الذي يحدد مزدلفة من المأزمين إلىٰ محسر[٢]. هكذا[٣].

دلالة هذا الحديث علىٰ وجوب إعادة النظر في حد مزدلفة الشرقي مأخوذة من قوله وضعت الركاب أيديها في الحرم، فلم يقل حتىٰ إذا وصلت الحرم، أو دخلت الحرم، وإنما قال أيديها يعني بمجرد وقوع أرجلها الأولىٰ في الحرم أي بدايته. لكننا لسنا مطالبين إذا نحن أردنا إعادة النظر في موروث

---

[١] أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢/ ٧٩٨.

[٢] انظر : السابق، ٢/ ٨٠٠.

[٣] كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي وغيره بإسناد صحيح.

معروف لدينا له من النصوص الكثيرة ما يؤيده أن يتوافر لدينا أدلة قوية، عملاً بالقاعدة الشرعية : القديم يترك علىٰ قدمه" إلا إذا قام الدليل علىٰ خلافة. [١] وهذا غير متوافر في النصين اللذين بين أيدينا لما يلي :

١ –وأيضـًا لا يستوقفنا تضارب الروايتين المنسوبتين إلىٰ عبدالله بن عمر ، وإذا سلمنا بأنهما حديثان رويا عن عبدالله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – سنقول إن كلا منهما يخالف الآخر ولا يقويه ؛ إذ لا يسوغ القول بأن " أدنىٰ الجبال " تؤدي في المعنىٰ مؤدىٰ " أقصىٰ الجبال مما يلي عرفات" لأن أدنىٰ ضد أقصىٰ ولا يجتمع الضدان، ثم إن عبارة " أقصىٰ الجبال مما يلي عرفات أي نهاية المأزمين" لا تعني سوىٰ أبعد الجبال عن عرفات أي نهاية المأزمين، وهو ما يعني نهاية طريق المأزمين وبداية المفضىٰ. أم يجوز لنا أن نقول إن قوله : أدنىٰ الجبال أي أطراف الجبال من الغرب (ناحية منىٰ)، وأن أقصىٰ الجبال مما يلي عرفات تفيد نفس المفهوم، ويكون المعنىٰ أقصىٰ الجبال وأنت متجه من عرفة إلىٰ الغرب. وهذا هو ما نص عليه د/ الحميدي.

[١]شرح القواعد الفقهيه، ص ٩٥، د. مصطفىٰ أحمد الزرقاط، دار القلم، دمشق. ط. الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢ -مما يضعف نسبة الحديث إلىٰ ابن عمر ما ورد من قول الصحابي سعيد ابن جبير : "سألت ابن عمر عن المشعر الحرام، فقال : ما أدري، وسألت ابن عباس فقال ما بين الجبلين"[١].

وهذا يرجح أن السؤال في الحديث الذي رواه عمرو بن ميمون كان موجهـًا إلىٰ عبدالله بن عمرو بن العاص لا إلىٰ ابن عمر.

حديث عبدالله بن عمرو.

روىٰ هذا الحديث الفاكهي في "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه" كما أسلفت القول، كما رواه الأزرقي أيضـًا في "أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار" وبين روايتيهما قرب شديد، ففيه عندهما: " وضعت الركاب أيديها في الحرم" كما رواه أيضـًا البيهقي في السنن الكبرىٰ لكن روايته مختلفة عن نص سابقتيها، وكلهم روي عن عمرو بن ميمون.

ونص رواية البيهقي : " عن عمرو بن ميمون قال : سألت عبدالله بن عمرو وهو واقف بعرفة عن المشعر الحرام فسكت حتىٰ أفاض، وتلبَّطَتْ[٢] أيدي الركاب في تلك الجبال، فقال هذا المشعر الحرام".

---

[١] يقال : لبطت به الأرض : إذا ضربت الأرض، وتلبّط : اضطجع وتمرغ. الصحاح للجوهري، ٣/ ١١٥. والمغني إذن نزلت أيدي الركاب وتمكنت.

[٢]السنن الكبرىٰ للبيهقي، ٥/ ١٩٩ حديث رقم (٩٥٠٥) .

ثم أردفها البيهقي بقوله : " كذا قال عبدالله بن عمرو، وقيل عبدالله بن عمر"[١]. كما رواه السيوطي ونسبه إلىٰ عبدالله بن عمرو، حاكيـًا إياه عن وكيع، وسفيان، وابن أبي شيبة، والبيهقي، وابن أبي حاتم والأزرقي ونصه عنده : " عن عبدالله بن عمرو أنه سئل عن المشعر الحرام، فسكت حتىٰ إذا هبطت أيدي الرواحل بالمزدلفة قال : هذا المشعر الحرام"[٢].

ولا تضيف الرواية الأخيرة شيئـًا لأن قوله : " حتىٰ إذا هبطت أيدي الرواحل بالمزدلفة" لم يبين لنا حداًلمزدلفة ، ومدار البحث هو أين يبدأ حد مزدلفة الشرقي.

أما ما جاء في رواية البيهقي " وتلبطت أيدي الركاب في تلك الجبال". ففيه ما يؤيد القول بامتداد حدود مزدلفة إلىٰ بدايات حدود الحرم ناحية عرفة. لأن الجبال تبدأ من هناك، وهي الجبال التي يمر بينها طريق المأزمين، ونهايتها مفضىٰ المأزمين؛ والتوجيه علىٰ اعتبار أن المقام مقام حديث عن الإفاضة من عرفات واتجاه الحجيج منها غربـًا فتكون الجبال أول ما يلقىٰ الحاج بعد اجتيازه وادي عُرنة.

---

[١] السابق، ٥/ ١٩٩.

[٢] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨، تحقيق : د. عبدالله التركي، ط. مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

إن ما قدمناه من النصوص وما ذكرناه من تعليق عليها هو محاولة منا لبيان حجم الإشكال التي تثيره تلك النصوص، فالملاحظ أن الرواية التي ساقها البيهقي تفيد ما يستدل به علىٰ أن مزدلفة تبدأ مع بداية حدود الحرم الشرقية.

لكننا أمام قضية لا يجوز أن نركن فيها إلىٰ نص يشوب الاستدلال به أي شائبة، لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، والأمر أمر واجب في فريضة هي من أركان الإسلام. وثم أمر آخر، هو أن النص المستدل به رغم احتماله يقابله نصوص أخرىٰ، مع ضرورة الاعتراف بأن قول تابعي أو فقيه مما سنذكر لا يقارن بقول صحابي من كبار رواة الحديث هو عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما-. فإذا ثبت قول الصحابي وجب الأخذ به لأنه بمثابة الحديث المرفوع.

رابعـًا : أدلة تؤيد بقاء مزدلفة علىٰ ما هي عليه.

يؤيد ما عليه حال الحد الشرقي لمزدلفة الآن أدلة منها :

١ –ما رواه المثنىٰ بسند عن ابن أبي نجيح قال : " يستحب للحاج أن يصلىٰ في منزله بالمزدلفة إن استطاع، وذلك أن الله قال : (فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) فأما المشعر فإنه هو ما بين جبلي

المزدلفة من مأزمي عرفة إلىٰ محسر، وليس مأزما عرفة من المشعر" وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". العبار الأخيرة للإمام الطبري [١].

إن كلام ابن أبي نجيح يبين لنا أن نهاية المأزمين حين يفضي إلىٰ مزدلفة هو حد مزدلفة الشرقي، ووادي محسر حدها الغربي.

٢ -ما روي عن الضحاك عن ابن عباس قال : " الجبيل وما حوله مشاعر"[٢]

والمقصود بالجبيل في حديث ابن عباس : قزح، لأنه صغير بالنسبة لجبال مزدلفة.

٣ -ومنها قول الإمام الشافعي: المزدلفة من حين يفضي من مأزمي عرفة - وليس المأزمان من المزدلفة - إلىٰ أن يأتي قرن محسر، وقرن محسر ما عن يمينك وشمالك من تلك المواطن القوابل والظواهر والشعاب والشِحار كلها من المزدلفة"[٣] .

[١] تفسير الطبري، ٣/ ٥١٦.

[٢] تفسير الطبري، ٣/ ٥٢١.

[٣] الأم للشافعي، ٣/ ٥٤٩، وانظر : الحاوي الكبير للحسن البصري، تفسير الطبري ٣/ ٥١٨.

٤ -عن السدي قال : " سمعت سعيد بن جبير يقول : المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة"[١]. لكن عبارته "جبلي المزدلفة " فيها شيء من الغموض لأنه لم يبين أي الجبلين يقصد ، فقد يفهم منها الجبلان الشمالي والجنوبي .

٥ -قال الفاسي : وطول المزدلفة من طرف وادي محسر الذي يليها إلىٰ أول المأزمين مما يليها، سبعة آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع"[٢].

ومن أوضح ما يدل علىٰ أن بداية مزدلفة شرقاً مفضىٰ المأزمين ما رواه الفاكهي بسند عن ابن جريج قال : قلت لعطاء (أي ابن رباح فقيه مكة وعالمها) أين المزدلفة؟ قال : المزدلفة إذا أفضيت من مأزمي عرفة إلىٰ محسر، قال : ليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما"[٣].

ومن أوضح ما ورد في بيان الحدود الشرقية والغربية لمزدلفة من كلام الأقدمين قول أبي إسحاق الحربي: "أول حد المزدلفة انقطاع محسر حيال

---

[١] السابق، ٣/ ٥٢٠.

[٢] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي ١/ ١١٣ تحقيق : محمد حامد الفقهي ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

[٣] أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي، ٤/ ٣١٦، ٣١٧.

القرن الذي وصفت لك، وآخرها انقضاء المأزمين، وليس المأزمان منها، ومفضاهما قبل أن تدخلها وأنت ذاهب إلىٰ عرفات، وإذا كنت جائيًا من عرفات إلىٰ منىٰ فأنت تصير بين جبلين وهما المأزمان في ضيق ... وإذا جاوزت المأزمين حتىٰ تخرج منهما إلىٰ الفضاء، فذلك الفضاء أول المزدلفة وأنت جاي من عرفات إلىٰ حيال القرن الذي وصفت لك، وهو الآن وأنت مقبل من عرفات عن يسارك"[١].

وأقول : إن كلامه هذا واضح لأنه بين أن المراد بما بين المأزمين ومحسر هو أول المأزمين من ناحية الغرب، وإن كان تعبير السابقين بقولهم وليس المأزمان من مزدلفة يفيد هذا أيضًا.

خامسًا : كلمات وردت في النصوص السابقة :

لبيان دلالات هذه النصوص لابد من إيضاح معاني بعض الكلمات الأساسية فيها وتلك الكلمات: **مُفضَىٰ، يفضي، أفضيت، المأزمان ، القوابل، الظواهر، الشعاب، الشَجار، القرن.**

[١] كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لأبي إسحاق إبراهيم الحربي، ص ٥٠٦، ٥٠٧، تحقيق: حمد الجاسر، نشر دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

المفضي : من أفضىٰ، مأخوذ من الفضاء وهو الساحة وما اتسع من الأرض، يقال : أفضيت إذا خرجت إلىٰ الفضاء.[١]

فالمفضي في الآثار السابقة معناه : المكان والساحة المتسعة التي ينتهي إليها الطريق المسمىٰ مأزمي عرفة، لأن سالك هذا الطريق يخرج من ضيق هذا الطريق إلىٰ فضاء رحب متسع.

المَأْزِم: "المضيق ... والمأزم كل طريق ضيق بين جبلين ...، ومنه سمىٰ الموضع الذي بين المشعر الحرام وعرفة مأزمين"[٢]. وقال ابن منظور : " المأزم : المضيق في الجبال حتىٰ يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه".

وقال أبو حيان الأندلسي:"وليس المأزمان، ولا وادي محسر من المشعر الحرام، والمأزم: المضيق، وهو مضيق بين جبلين ثنَّوه لمكان الجبلين"[٣].

القوابل : جمع قابل وهو ما قابل، أي واجه الإنسان من مكان مشرف أي مرتفع، قال الأصمعي: الإقبال ما استقبلت من مشرف، الواحد قَبَل[٤].

---

[١] من لسان العرب، ص ٣٤٣١.

[٢] تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ص١٨٦١(أزم).

[٣] تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص١٠٥ مرجع سابق.

[٤] السابق، ص ٣٥١٧.

الظواهر : جمع الظاهر، والظهر من الأرض، وهو ما غلظ منها وارتفع. والبطن مالان منها وسهل ورق واطمأن. والظواهر : أشراف الأرض، قال ابن شميل : ظاهر الجبل : أعلاه، وظاهر كل شيء أعلاه"[١]. وأشراف الأرض أي أعاليها.

الشّعاب : جمع شِعْب، والشِعْب ما انفرج بين جبلين، ومسيل الماء في بطن من الأرض[٢].

الشِجَار : من مادة (شجر) التي تدل علىٰ التداخل والعلو. قال ابن فارس : (**شجر**) لها أصلان، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضه في بعض، ومن علو في شيء وارتفاع[٣].

القَرْن : هو قرن الثعالب، والقَرن كما قال ياقوت الحموي : " أصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير"[٤]. وقال الفاكهي : " ومن مسجد منىٰ[٥] إلىٰ قُرين الثعالب ألف وخمسمائة ذراع وثلاثون ذراعـًا"[٦]،

---

[١] السابق، ص ٢٧٦٧.

[٢] نفسه، ص ٢٢٦٩.

[٣] مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/ ٢٤٦، بتصرف يسير.

[٤] معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٢٣٢.

[٥] هو مسجد الخيف.

[٦] أخبار مكة للفاكي، ٤/ ٢٨٢، هامش المحقق د. ابن دهيش رقم (١).

وقال ابن دهيش : " قرن الثعالب سألت عنه الشريف محمد بن فوزان الحارثي – رحمه الله – فأخبرني أنه القرن الذي يقابل ريع البابور من الشمال، وقد أزيل رأسه وسُوي بالشارع الموازي لجسر الملك خالد حتىٰ صار أشبه بهضبة من الهضاب، ويطلق عليه اليوم ربوة منىٰ، ويمر علىٰ طرفه الغربي الشارع القادم من جسر الملك خالد".

قال الحربي : قال عطاء القرن (**أي المذكور**) هو أقرب قرن في الأرض من محسر عن يمين الذاهب من مكة عن يمين الطريق"[١]، وهو جبل يقابل وادي محسر من الجنوب كان سيله يضرب في الوادي"[٢].

قال النووي أيضا: "واعلم أن بين مكة ومنىٰ فرسخا، ومزدلفة متوسطة بين عرفات ومنىٰ، بينها (أي بين مزدلفة) وبين كل منهما فرسخ وهو(أي الفرسخ) ثلاثة أميال"[٣].

وسواء كانت هذه المسافة الفاصلة بين مزدلفة وعرفة بالفعل صحيحة كما حددها أو تزيد أو تقل عما حددها النووي فيما حكىٰ عنه العلامة الهيتمي

---

[١] كتاب المناسك للحربي، ص ٥٠٧.

[٢] حدود المشاعر المقدسة، ص ٥٤، د. عبدالملك بن دهيش.

[٣] حاشية الهيتمي علىٰ شرح الإيضاح في مناسك الحج للنووي ص ٣٠٩ ط . دار الحديث بيروت ١٩٨٥ م .

في حاشيته فإن كلام النووي يبين أن حدود مزدلفة الشرقية ليست الضفة الغربية لوادي عرنة، وإنما بينها مسافة تقرب من فرسخ، وأن المراد بمأزمي عرفة ليست ضفتي وادي عرنة.

علىٰ أنه ينبغي ألا يفهم من تعليقنا علىٰ النصوص التي تقدمت أننا نحكم علىٰ الرأي القائل بامتداد الحد الشرقي لمزدلفة حتىٰ نهاية علامات الحرم بمجانبته للصواب، ولكن الأمانة العلمية تقتضي أن نذكر تقديرنا لما نتناوله من نصوص، وقد نكون مصيبين أو غير مصيبين. والله أعلم بالصواب.

ومما يجدر ذكره أننا عرضنا هذه الأحاديث بسندها علىٰ سعادة الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن عبدالله بن عرفة مدرس الحديث بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة، فأفتىٰ بأنها روايات لحديث واحد، وأن رجاله من رجال الكتب الستة الصحاح، وأن درجاتهم لا تقل عن الثقات الأثبات، وأنهم حين يجتمعون علىٰ حديث ذي سند واحد يكون الحديث إما صحيحاً لذاته أو لغيره. كما ذكر أن اختلاف التعبير في المتن مع تأديته للمعنىٰ الصحيح لا يضعف الحديث بل يعتبر رواية أخرىٰ[1].

[1] ذكر الشيخ هذا مشافهة للدكتور/ عمر بن سراج أبورزيزة.

نذكر هذا لنضع بين أيدي الباحثين والمعنيين بأمر المشاعر المقدسة كل ما استطعنا جمعه من مادة علمية حتىٰ يكون عملنا هذا بداية لنقاش علمي يوصل بمشيئة الله إلىٰ الخير والصواب.

المبحث الرابع

حكم المبيت بمزدلفة، ووقته، والقدر الواجب من الوقت للنزول

أولاً : حكم المبيت.

أ) القول بوجوب المبيت.

الوقوف بمزدلفة والنزول بها واجب علىٰ المشهور في المذاهب الأربعة فمن فاته النزول بها لزمه دم، قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي : " هذا قول عطاء، والزهري، وقتاده، والثوري، والشافعي، وإسحاق، وأبي عبيد، وأصحاب الرأي"[1]. جاء في الأم : " وإن ترك المزدلفة فلم ينزلها، ولم يدخلها فيما بين نصف الليل الأول إلىٰ صلاة الصبح افتدىٰ، وإن دخلها في ساعة من هذا الوقت فلا فدية عليه"[2]. وقال الإمام النووي الشافعي : " المشهور من مذهبنا أنه ليس بركن، فلو تركه (أي الحاج) صح حجه، قال القاضي أبو

(١) المقنع لموفق الدين عبدالله بن قدامة، ومعه الشرح الكبير لشمس الدين عبدالرحمن بن قدامة، ٩/ ١٨١، تحقيق: د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، ط. دار هجر بالجيزة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

وانظر الاستذكار لابن عبدالبر ١٣/ ٣.

(٢) الأم للإمام الشافعي، ٣/ ٥٤٩.

الطيب وأصحابنا ، وبهذا قال جماهير العلماء من السلف والخلف[1].

يقول ابن عابدين وهو حنفي : " مطلب في الوقوف بمزدلفة : " هذا الوقوف واجب عندنا لا سنة"[2]، وقال القرافي وهو مالكي : "والنزول الواجب يحصل بحط الرحل والتمكن من المبيت"[3].

ب) القول بركنية المبيت.

وذهب بعض أئمة التابعين إلىٰ القول بأن النزول بمزدلفة ركن من أركان الحج. والقائلون بذلك من التابعين هم : علقمة بن قيس النخعي[4]، والأسود بن يزيد، وعامر الشعبي، وإبراهيم بن يزيد النخعي، وحماد بن أبي سليمان، وأبوبكر ابن خزيمة من الشافعية[5]، ومن الشافعية القائلين بالركنية أبو

(١) المجموع شرح المهذب للنووي، ٨/ ٦٣ .

(٢) حاشية ابن عابدين (رد المحتار علىٰ الدر المختار) ٣/ ٥٢٩، تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود وآخرين، ط. دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) الذخيرة للقرافي، ٣/ ٢٦٣.

(٤) انظر: كتاب المناسك لأبي زيد عبدالله بن عمر الدبوسي الحنفي، ت: ٤٣٠هـ، ص ٣٨١، تحقيق: د. نايف العمري، ط. دار المنارة، القاهرة، ١٩٩١م.

(٥) انظر : المجموع للنووي، ٨/ ١٥٢.

عبدالرحمن ابن بنت الإمام الشافعي، وذكر النووي أن الحسن البصري من القائلين بالركنية[1]، والحسن البصري أحد كبار التابعين ،ولد في بيت النبوة ،وأرضعته أم المؤمنين أم سلمةرضي الله عنها .

وبناءً علىٰ تفريق الأحناف بين الواجب والفرض – خلافاً لما عليه الأئمة الثلاثة من كونهما بمعنىٰ واحد –، قال الكاساني في صفة المبيت "اختلف فيه أصحابنا، قال بعضهم : إنه واجب، وقال الليث[2] إنه فرض، وهو قول الشافعي" وذكر أنهما استدلاعلىٰ ذلك بأمر الله تعالىٰ بالذكر في آية سورة البقرة (فإذاأفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)[3].

ثانيـًا : قدر المبيت، وحكم من لم يبت فيه أصلاً.
وقت المبيت وحكم من فاته :

أ) عند القائلين بركنيته : من لم يبت بمزدلفة خلال وقت المبيت فلا حج له: " من

(١) المجموع للنووي، ٨/ ١٦٣، وانظر: الاستذكار، ١٣/ ٣٨.

(٢) الصواب أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، فقيه حنفي محدث (ت ٣٧٣هـ). انظر في ترجمته تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وغيرهما.

(٣) بدائع الصنائع للكاساني، ٣/ ٨٧، تحقيق: علىٰ معوض، وعادل عبدالموجود، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، سورة البقرة، الآية ١٩٨.

فاته جمع فاته الحج "[1].

ب) عند القائلين بوجوبه : " إن فاته بغير عذر فعليه دم وحجه صحيح، وكذا إن بات ودفع قبل منتصف الليل عند الإمامين أحمد والشافعي[2]، جاء في الأم (الباب رقم ١٣٨ " باب ما يفعل من دفع من عرفة " أن الإمام يقول بوجوب الوقوف بمزدلفة، أما البيتوته حتىٰ طلوع الفجر فهي عنده سنة. ولنقرأ قوله : "ومزدلفة منزل، فإذا خرج منه رجل بعد نصف الليل فلا فدية عليه، وإن خرج قبل نصف الليل فلم يعد إلىٰ المزدلفة افتدىٰ، والفدية شاة يذبحها ويتصدق بها، وأحب أن يقيم حتىٰ يصلي الصبح في أول وقتها". وقوله : " وإن ترك المزدلفة فلم ينزلها ولم يدخلها فيما بين نصف الليل الأول إلىٰ صلاة الصبح افتدىٰ"[3].

هذا هو المشهور الراجح في المذهب الشافعي، أي أن النزول بمزدلفة إلىٰ ما بعد منتصف الليل واجب يجبر فواته بدم إلا إذا كان

(١) المقنع، ٩/ ١٨١.

(٢) حاشية ابن عابدين، ٣/ ٥٢٩.

(٣) الأم للشافعي، ج٣، ص ٥٤٩.

الفوات لعذر، وهو القول المعتمد. والقول الآخر المرجوح أنه سنة[1]. فمن فاته لا شيء عليه. وفي مذهب أبي حنيفة أول وقته طلوع فجر يوم النحر وآخره طلوع الشمس[2]، قال القدوري: الوقوف بالمزدلفة واجب ووقته بعد طلوع الفجر من يوم النحر ما لم تطلع الشمس[3].فمن نزل بها في هذا الوقت ولو لحظة أجزأه ولا شيء عليه، ومن نزل بها وانصرف قبل هذا الوقت، أو لم ينزل بها أصلاً فعليه دم، وحجه صحيح. جاء في سبيل الفلاح للشرنبلالي وتكملته : "فإذا كان يوم النحر يصلي الفجر بغلس[4]* ثم يقف بالمزدلفة ولو لحظة ثم يذهب إلىٰ منىٰ قبل طلوع الشمس"[5].

(١) انظر المهذب للشيرازي، ١/ ٤١٣، وحاشية ابن حجر الهيتمي علىٰ شرح الإيضاح في مناسك الحج للنووي، ص ٣١١، ٣١٢، والحاوي للماوردي ٤/ ١٧٤.

(٢) انظر: المجموع للنووي، ٨/ ١٦٣، والمقنع، ٩/ ١٨٢، والحاوي، ٤/ ١٧٧.

(٣) التجريد للقدوري ٤/ ١٩٢١ تحقيق : محمد سراج، د. علي جمعة ، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٢م.

(*) بغلس أي عند بداية اختلاط ظلمة الليل بضوء الصبح.

(٥) سبل الفلاح للشرنبلالي، شرح نور الإيضاح، ومعه هبة الفتاح لمحمد محي الدين عبدالحميد، ص ٢٣٦، ط. دار البيروتي، دمشق، بدون تاريخ.

وعند الإمام مالك يكفي الوقوف بها فيما بعد المغرب حتىٰ طلوع الفجر قدر حط الرحال، فإن نزل بها هذا القدر فيما بين هذين الوقتين أجزأه ولا شيء عليه، يقول القرافي: " والنزول الواجب يحصل بحط الرحل، والتمكن من المبيت، ولا يشترط استغراق النصف الأول من الليل"[1]. وقال ابن قدامة : " قال مالك " إن مر بها ولم ينزل فعليه دم، فإن نزل فلا دم عليه متىٰ ما شاء دفع"[2]. والمقرر لدىٰ الفقهاء قديمـًا وحديثـًا أن الدم إنما يجب علىٰ من فاته المبيت بغير عذر، أما إذا كان بعذر فالحج صحيح ولا شيء علىٰ الحاج قال الشيخ عبدالعزيز : إذا كان (الحاج) لا يجد مكانـًا في مزدلفة، أو منعه الجنود من النزول بها فلا شيء عليه لقوله سبحانه : "فاتقوا الله ما استطعتم"[3]، وإن كان ذلك عن تساهل فعليه دم مع التوبة"[4].

(١) الذخيرة للقرافي، ٣/ ٢٦٣.

(٢) المعني لابن قدامة، ٥/ ٢٨٤.

(٣) التغابن من الآية (١٦).

(٤) انظر حاشية ابن عابدين، ٣/ ٥٢٩، فتوىٰ رقم (١٥٥) الملتقىٰ الفقهي إشراف الشيخ عبدالعزيز الفوزان، موقع رسالة الإسلام، تاريخ الرجوع ٢٢/ ٧/ ١٤٣٥هـ وانظر حاشية ابن حجر علىٰ الإيضاح، ص ٣١١، ٣١٢.

المبحث الخامس

رؤية الدراسة في حدود المزدلفة ومقترحاتها

أولاً : رؤية الدراسة.

لعل القارئ الكريم قد وقف من عرضنا السابق لهذه القضية علىٰ أن الأدلة التي استند إليها من يرىٰ أن الحدود الشرقية لمزدلفة تبدأ مع بداية حدود الحرم المكي الشرقية تحتاج إلىٰ رحابة صدر وصبر في دراستها والحكم عليها من متخصصين في علم الحديث ورجاله، ولا يجوز لعالم أن يرد كلامه لمجرد التمترس بالموروث والإلف والعادة، ومن جهتنا نحن الباحثين نقدم للعالم تقديرنا الجليل للدكتور عبدالعزيز الحميدي، ونثمن جهده المشكور في بحثه ومحاولته التوصل إلىٰ حلول تخفف مشكلة الزحام في الحج ويمكن الحجاج من اكتمال أدائهم للشعائر، فالحج فريضة عمر بذل الحاج من أجلها الجهد والمال والوقت، وفارق لأجلها الأهل والعمل والوطن راجيـًا أن يكون حجه صحيحـًا مقبولاً، ويحزنه كثيراً عدم تمكنه من أداء واجب من واجبات حجه.

وكم كنا وما زلنا نود أن تصدق الرؤية الذاهبة إلىٰ امتداد مزدلفة شرقـًا، نظراً لما تقرر لدينا من ازدياد عدد الحجاج في العشرين السنة القادمة لتصل

إلىٰ ما يقرب من ثلاثة عشر مليونا وفق دراسة[١] بنيت علىٰ حساب نسبة ٠.٠٠١٪ مضروباً في عدد سكان بلدان العالم الإسلامي خلال هذه الحقبة الزمنية والمؤسس علىٰ نسبة معدل النمو السكاني لهذه البلدان.

إن عدد الحجاج سيتضاعف حوالي أربعة أضعاف ما هو عليه الآن في خمسينيات هذا القرن الهجري.و إن أعداداً كبيرة من الحجاج لا يتمكنون الآن من النزول بمزدلفة خلال ليلة عيد النحر حتىٰ يطلع فجر ذلك اليوم، ومن ثم تفوتهم هذه الشعيرة التي بينا قبل ذلك حكم أدائها عند الجمهور وهو الوجوب، وأنه يتوجب علىٰ من فاته ذبح شاة، وإذا أخذنا بقول من قالوابركنيتها يكون قد فاته الحج.

من هنا، وفي محاولة من الباحثين للإسهام في التوصل إلىٰ حلول لمشكلة ضيق مزدلفة وتزايد أعداد الحجيج فإنهما يقدمان مقترحاتهما فيما يلي :

ثانيا : المقترحات :

المقترح الأول : ضم وجوه الجبال التي تحد مزدلفة شمالاً وجنوباً والتي تصب سيولها في مزدلفة إلىٰ مزدلفة قياساً علىٰ أقوال الفقهاء في مشعري

[١] انظر كتاب " حلول مقترحة لتخفيف حدة الزحام في مناسك الحج د. عمر سراج أبو رزيزة ط.مطابع الستين ١٤٢٦هـ .

عرفات ومنىٰ، وحسبما هو مقرر عند علماء المياه والهندسة، والجغرافيا، والمطابق لما ورد في تراثنا الفقهي. وقد سجل البحث ما قرره أئمة الفقه الإسلامي ومنهم الإمام الشافعي وغيره من أن وجوه الجبال التي تصب في عرفة هي من عرفة، وأن وجوه الجبال التي تصب في منىٰ هي من منىٰ، وأيضاً قولهم إن من مزدلفة القوابل والظواهر والشعاب، لذا، فإن الدراسة تقترح أن تكون العلامات المحددة لمزدلفة مستوعبة لكامل المساحة الشرعية لها.

المقترح الثاني : إزالة الجبال والآكام الرابضة علىٰ أرض مزدلفة، وتسويتها وبسطها لتكون صالحة لنزول الحجاج بها. إن هذا العمل – بعون الله – صار من الأمور الميسورة وهذا العمل وإن كان عالي التكاليف إلا أن فوائده ونفعه يتضاءل أمامها ما ينفق عليه من جهد ومال . ومما يشجع علىٰ القيام بهذا العمل ما أصبح لدىٰ أبناء المملكة العربية السعودية من خبرة كبيرة في إزالة الجبال وتسويتها بالأرض. فمن الممكن الآن وضع خطة طويلة المدىٰ كأن تكون ١٠ سنوات بحيث يمكن إزالة ١٠٪ من هذه الجبال سنوياً ، يبدأ فيها بالجبال التي تكون إزالتها أو تسويتها أسهل من غيرها فنبدأ بالجبال الرسوبية ثم المتحولة، بحيث يكون تعاملنا مع الجبال النارية في المرحلة الأخيرة. كما نحبذ أيضا البدء بالجبال الأقل ارتفاعاً حتىٰ يكون المردود سريعا نظراً للحاجة العاجلة.

المقترح الثالث : إعداد ظهير أرضي للمشعر يضم ما بين مزدلفة غربـًا وأنصاب الحرم المجاورة لوادي عُرنة شرقـًا وتهيئة هذه الأراضي قدر الإمكان. ولهذا الظهير فائدتان أولاهما نزول الحجاج فيه إلىٰ أن يتمكنوا من دخول مزدلفة، وثانيهما عند عدم تمكن الحجيج من دخول مزدلفة لامتلائها يكون مبيتهم فيه مجزئـًا، وذلك قياسـًا علىٰ امتداد صفوف المصلين في الجماعة خارج المسجد الذي أجازته فتاوىٰ هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ،وإجازتها المبيت خارج منىٰ إذا لم يجد الحاج فيها مكانـًا، وخارج مزدلفة إذا تعذر وصوله إليها[١]. وتتضح أهمية هذا الظهير في كونه الممر الذي يسلكه الحجيج بعد الإفاضة من عرفة، وأن التواجد فيه يمكنهم من الدخول إلىٰ مزدلفة إذا خف زحامها. ومن بات به ولم يتمكن من دخول مزدلفة فلا شيء عليه كما أفتىٰ بذلك كبار علماء المملكة في فتاواهم التي أشرنا إليها.

وثم مسوغ آخر لهذا المقترح وهو ما روي عن الإمام جعفر الصادق – رحمه الله – لما سئل عما إذا كثر الناس وضاقت عليهم المزدلفة لصغر

[١] انظر الفتاوىٰ (١١٢٥٧) ، (٨١٨٤)، (١٠٨٨٤)، ١١/ ٢٧٢، ١١/ ٦٥، ٢٦٦، ١١/ ٢١٣. عبدالرزاق الدويش، ط. دار العاصمة.

مساحتها فماذا يصنعون ؟ قال : يرتفعون إلىٰ المأزمين [1]. معلوم أن حجاج الشيعة كثيرون وهم لن يجدوا حرجا إذا هم نزلوا في هذه المنطقة المقترحة لوجود هذا النص في كتبهم.

ومن المسوغات القوية التي تشجع علىٰ تنفيذ هذا المقترح ما روي من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – الذي تناوله البحث دراسةً وتعليقـًا، والذي يثبت ظاهره أن مزدلفة تبدأ مع حدود الحرم الشرقية. وإن كانت الدراسة لم تأخذ بما يتضمنه ـ مع عدم رفض الباحثين له ـ لرؤيتهما أنه مازال يحتاج إلىٰ دراسات جادة من قبل لجنة علمية شرعية للحكم له أو عليه، مع اطمئنانهما إلىٰ اتخاذ المنطقة المشار إليها حريمـًا لمزدلفة.

ومما يؤيد ويقوي هذا المقترح ما نقرؤه عند بعض الفقهاءمن قوله: " وقد جوزت الروايات الارتفاع إلىٰ المأزمين الذي هو حد المزدلفة خارج المحدد عند الضرورة؛ لازدحام الناس وضيق المزدلفة عليهم، فقد روىٰ

(١)كتاب وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل مسائل الشريعة، ج١٠ باب ٩ نص رقم (١٨٤٨٦).طبع وتحقيق مؤسسة آل البيت إيران.

سماعة في الموثّق قال: قلت للإمام الصادق – عليه السلام – إذا كثر الناس بجمع وضاقت عليهم كيف يصنعون؟ قال : يرتفعون إلىٰ المأزمين"[1].

ونص الأثر كما جاء في مرجع المؤلف تحت " باب جواز الارتفاع في الضرورة إلىٰ المأزمين أو الجبل" عن أبي نصر عن سماعة قال : قلت لأبي عبدالله – عليه السلام- إذا كثر الناس بجمع وضاقت عليهم كيف يصنعون؟ قال : يرتفعون إلىٰ المأزمين"[2].

إن عدد الحجاج من الشيعة كثير، ومن هنا تظهر أهمية وجدوىٰ هذا المقترح.

إن أيـًا منا لو خير بين أن يبيت في هذا الحريم المقترح، أو يبيت خارجه وخارج مزدلفة لاختار بالطبع أن يبيت في حرم المشعر لأنه قد يتمكن من المرور به خلال وقت الإجزاء.

(١) بحوث في الفقه المعاصر ٢/ ٢٦ تأليف حسن بن محمد الجواهري، نشر دار الذخائر.

(٢)كتاب وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل مسائل الشريعة، ج١٠ باب ٩ نص رقم (١٨٤٨٦). تحقيق وطبع مؤسسة آل البيت، إيران (د.ت) هذا الكتاب أكثر كتب الحديث اعتماداً عند الشيعة في مجال استنباط الأحكام ، طبع في ٣٠ مجلداً.

إن المبيت في هذا الحريم المقترح يحتمل أن يكون مبيتًا في مزدلفة بحسب بعض الآراء ولديه دليله، أما المبيت في غيره فلا صلة له بالمشعر.

المقترح الرابع: مقترح تنظيمي يهدف هذا المقترح إلىٰ الإفادة من آراء المذاهب الفقهية المختلفة في تحديد وقت المبيت وابتدائه وانتهائه والقدر من الوقت الذي يجزئ لتحقق المبيت. يتحقق هذا بترتيب إفاضة حجاج الدول التي يغلب عليها التمذهب بالمذهب المالكي - وعددهم كبير حيث يقدر بحوالي ربع العدد الكلي لمجموع الحجاج - بأن يكونوا أول الناس إفاضة من عرفة، ووصولاً إلىٰ مزدلفة فينزل هؤلاء بمقدار حط الرحال - وهذا الوقت كاف عندهم لتحقق المبيت - ثم يدفعون إلىٰ منىٰ بحيث تخلىٰ المساحة للشافعية والحنابلة الذين يمكنهم الدفع من منىٰ بعد منتصف الليل لتخلي مزدلفة بعد ذلك للأحناف بحيث يكون الأحناف آخر من يفيض من عرفة وآخر الواصلين إلىٰ مزدلفة؛ لأن وقت الوقوف عندهم يبدأ بعد الفجر من يوم النحر.

المقترح الخامس : وقف حريم مزدلفة علىٰ الشعيرة ومؤديها، فمن المعلوم أن جميع المشاعر وقف علىٰ الشعائر التي تؤدىٰ فيها، ومن ثم فهي موقوفة لجميع المسلمين، فلا يجوز لأحد أن يتملك جزءاً من أي مشعر، ولا يليق بأحد أن يدعي إحياء شبر واحد من أرضها؛ لأن خالق السماوات

والأرض – سبحانه وتعالىٰ – قد اختار هذه البقاع الطيبة الطاهرة، وخصها بهذا القدر الكبير والشرف الرفيع لتكون مجامع سنوية تجمع مسلمي الشرق والغرب، والشمال والجنوب علىٰ أنساك معينة، وشعائر محددة في هذه الأماكن المشرفةالمحددة.

وقد طرحت الدراسة ضمن ماحوت من مقترحات دعوة إلىٰ اتخاذ حريم لمشعر مزدلفة يمتد من حدودها الشرقية من لدن نهاية طريق المأزمين غرباً (بداية الحدود الشرقية لمزدلفة) إلىٰ نهاية حدود الحرم المكي شرقاً (تجاه عرفات).ويدخل فيه وجوه الجبال وشعابها ومهادها التي تصب في هذا الحريم المقترح من حديه الشمالي والجنوبي، كما يدخل فيه أيضاً الشعاب والجبال التي تقع في هذا النطاق.

إن مبيت الناس في هذه المنطقة واقع شئنا أو أبينا، وشاء الناس أو أبوا؛ إذ لا مناص من ذلك حين تمتلئ مزدلفة وتتجمد الحركة علىٰ الطرق المؤدية إليها. ولعل الأثر المروي عن الإمام جعفر يطلعنا علىٰ أنه كان يستشرف مستقبلاً بعيداً هو الآن حاضر، حيث إن زمنه لم يشهد في المشاعر ما نشهد من زحام. من هنا، فإن الباحثين يدعوان إلىٰ حماية المنطقة كحريم لمزدلفة من عمل دراسات مستقبلية توضح إمكانية إلحاقها بمزدلفة بحيث نحول بينها

وبين إقامة أي شيء علىٰ أرضها، أو وضع اليد علىٰ أي جزء منها لتظل للحجاج منزلاً ومبيتاً عند تعذر دخولهم مزدلفة.

إن اتخاذ هذه المنطقة حريماً موقوفاً علىٰ المشعر والشعيرة هو السبيل الوحيد لحمايتها من أن تمتد إليها أيدي الباحثين عن المال أو السكن، أو حتىٰ إقامة منشآت حكومية، ولا يسوغ الآن لقائل أن يقول إنها أراض ذات طبيعة جبلية، ومن ثم لا يفكر أحد في استغلالها كما تقولون، فكم من جبال في مكة المكرمة قد سكنت، بل وكم من جبال في مكة المكرمة قد أزيلت أو تزال الآن، ففي عصرنا هذا لم تعد إزالة الجبال بالأمر المحال، فحيث توجد الإمكانات المالية يذلل الحزن، وتيسر الصعاب.

ملخص

افتتحت الدراسة بمقدمة تضمنت إشارة إلىٰ فريضة الحج، وكونها فرصة أتاحها الله لعباده يتجمعون لها في بقعة مقدسة من العالم متجردين من مظاهر الدنيا وعوالقها ليفيض عليهم من فضله وبره ورحمته. وبين البحث أن الدافع لدراسة القضية وجود بعض علامات المشعر دون الحد الشرعي له ، بما يعني أن العلامات المحددة للمشعر قد استبعدت أجزاء منه. كما أن بالمشعر أجزاء تقع داخل حدوده ولا يمكن الانتفاع بها ، وهذا وضع لا يصح الآن. وضم المبحث الأول حديث المعاجم اللغوية وكتب الفقه والتاريخ عن كلمة مزدلفة ، والأسماء الأخرىٰ للمشعر (جمع ، المشعر الحرام) وبيان السر في تسمية المشعر بهذه الأسماء ، ومقصود التسمية بكل منها. وحوىٰ المبحث الثاني حديثاً عن موقع مزدلفة، وحدودها، وطبيعة سطحها، ومساحتها، مبيناً ما ورد من أقوال علمائنا مما يتيح لنا ضم أجزاء من الأرض إلىٰ المشعر دون تجاوز حدوده الشرعية ، محددة مساحة تلك الأجزاء بالأرقام.

سلط المبحث الثالث الضوء علىٰ بعض الدراسات الحديثة التي ترىٰ ضم حوالي سبعة كيلومترات مربعة إلىٰ مساحة مزدلفة من الجهة الشرقية

لتصل حدودها من هذه الناحية إلىٰ آخر حدود الحرم المكي شرقًا ناحية عرفات. وتمت مناقشة هذه الدراسة في ضوء النصوص المعتبرة ، وخلصت الدراسة إلىٰ أن الأدلة التي استند إليها الباحث الكريم لا تقوىٰ علىٰ إثبات ما أراد ، وكم وددنا لو أمكنه ذلك ، ولكننا ننتظر ونحث علىٰ القيام بدراسات أخرىٰ علنا نصل إلىٰ هذا الهدف الذي لو استطعنا إثباته لحلت مشاكل كثيرة ولرفع عنا عنت كبير نعانيه ويعانيه الحجيج. لذا فإن المزيد من البحث والتقصي ضروري.

وختمت الدراسة برؤية الباحثين ومقترحاتهما التي ترفع الطاقة الاستيعابية لمشعر مزدلفة من منطلق علمي وعملي وتنظيمي، دون إهدار للنصوص الشرعية والعلمية الموروثة، فإزالة الجبال التي تجثم علىٰ أرض مزدلفة ، وضم سفوح الجبال الشمالية والشرقية إلىٰ مزدلفة وهي التي تسيل مياهها في مزدلفةعمل يضيف إلىٰ مزدلفة مساحة كبيرة إذ تصل هذه المساحة التي تضاف إلىٰ ما يقرب من ٨٠٪ من المساحة المتاحة حاليًا للنوم والصلاة ، وإتاحة الفرصة للحجاج المالكية للوصول إلىٰ المزدلفة والدفع منها قبل الحجاج الآخرين، وتأخير وصول الحجاج الأحناف ليكونوا آخر الحجاج وصولاً إليها كل هذا يرفع الطاقة الاستيعابية لمزدلفة ، وهذا هو المراد.

وختمت الدراسة بالدعوة إلىٰ أن يكون الحريم التي نادت بضربه حول مزدلفة وقفـًا علىٰ المشعر والحجيج، تمامـًا كما هو حال المشعر نفسه؛ لكي لا يلحق أرضه أي نوع من التعدي من أفراد أو مؤسسات أو حتىٰ جهات حكومية، وأوضحت الدراسة فوائد هذا الحريم وعلة فرضه في الجهة التي حددتها.

وبعد فهذه دراسة نقدمها بين أيدي العلماء والدارسين راجين أولاً القبول من المولىٰ عز وجل ،وثانيا أن تحظىٰ باهتمام الباحثين مناقشةً وتصويبـًا وإكمالاً ، لما لموضوعها من أهمية حيث يتعلق بأحد مشاعر فريضة هي أحد أركان الإسلام الخمس . والله من وراء القصد ،وهو الهادي إلىٰ الصواب .

dalil-alhaj.com
جبل النور
(غار حراء)
الجمرة الأولى
الجمرة الوسطى
الجمرة الصغرى
الشمال
الرياضية
المحصب
مقبرة المعلاة
منى
مسجد الخيف
مزدلفة
وادي محسر
مسجد المشعر الحرام
حدود مزدلفة
طريق المازمين
طريق ضب
جبل عرفات
حدود عرفات والحرم
جبل الرحمة
ساحة عرفات
مسجد نمرة
المسجد الحرام
وادي عرنة
بين مكة ومنى : ٧ كم وعن طريق النفق ٤ كم
بين مكة ومزدلفة : ١٠ كم
بين مكة وآخر مزدلفة : ١٥ كم
بين مزدلفة وعرفات : ٦ كم
بين مكة وعرفات : ٢١ كم
من الجمرة الصغرى إلى الوسطى : ١٥٠ متراً
من الجمرة الوسطى إلى جمرة العقبة : ٢٧٥ متراً
مخطط مشـــاعر الحج

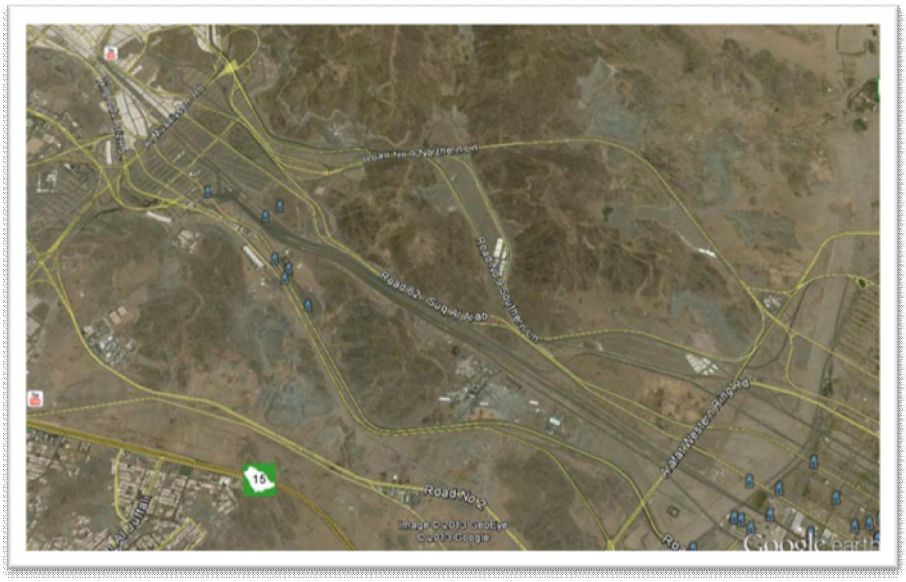
Road No 2
Road 62 - Suq Al Arab
Road No 3 - Southern
Road No 2 - Makkah
15
Google

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم .
٢ـ صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة طبع دار السلام بإشرف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ٠
٣- فتح الباري لابن حجر العسقلاني طبع دار المعرفة بيروت بإشراف محب الدين الخطيب ٠
٤- صحيح مسلم موسوعة الحديث الشريف ٠
٥- سنن أبي داود " " " .
٦- سنن ابن ماجة " " " .
٧- سنن الترمذي " " ".
٨- سنن النسائي " " " .
٩-السنن الكبرىٰ للبيهقي تحقيق محمد عبدالقادر عطا ط.دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣ .
١٠- مسند الإمام أحمد ،ط .دار المنهاج نشر جمعية المكنز الإسلامي .
١١- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي تحقيق د.عبد الملك بن دهيش ط.
دار خضر بيروت ١٩٩٤.
١٢- أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار للأزرقي تحقيق د.عبد الملك بن دهيش
ط.مكتبة الأسدي ،السعودية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م .
١٣- إعلام الساجد في أحكام المساجد للإمام الزركشي تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغي ط. المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٩٩م.
١٤- الأم للإمام الشافعي تحقيق د.رفعت فوزي عبد المطلب ط.دار الوفاء بالمنصورة مصر ٢٠٠١م.

١٥- الاستذكار لابن عبد البر تحقيق د.عبد المعطي قلعجي ط. دار قتيبة دمشق و دار الوعي بالقاهرة ١٩٩٣ م .
١٦- بدائع الصنائع للكاساني تحقيق الشيخ علي معوض وآخر ط . دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣ م .
١٧- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط. دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ م .
١٨- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم محمد طاهر الكردي المكي تحقيق د . عبد الملك بن دهيش ط. دار خضر ١٤٢٠ هـ .
١٩- التجريد للقدوري تحقيق محمد سراج و د. علي جمعة ط . دار السلام القاهرة ٢٠٠٢ م .
٢٠- تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام لابن الصباغ تحقيق د . عبد الملك بن دهيش ط . ١٤٢٤ هـ .
٢١- تفسير البحر المحيط لأبي حيان تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود و آخر ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣ م .
٢٢- تفسير الطبري تحقيق د . عبد الله التركي ط . دار هجر القاهرة ٢٠٠١ م .
٢٣- التفسير الكبير للفخر الرازي ط . دار الفكر بيروت ١٩٨١ م .
٢٤- تفسير الكشاف للزمخشري تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود و آخر ط . مكتبة العبيكان الرياض ١٩٩٨ م .
٢٥- حاشية ابن حجر الهيتمي علىٰ شرح الإيضاح في مناسك الحج للنووي ط . دار الحديث بيروت ١٩٨٥ م .
٢٦- حاشية ابن عابدين تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود و آخرين ط . عالم الكتب الرياض ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م .

٢٧- الحاوي الكبير لأبي الحسن البصري الماوردي تحقيق الشيخ علي معوض و آخرين ط . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤ م .
٢٨- حلول مقترحة لتخفيف حدة الزحام في مناسك الحج د . عمر أبو رزيزة ط . دار الستين جدة ١٤٢٦ هـ .
٢٩- الدر المنثور للسيوطي تحقيق د . عبد الله التركي ط . مركز هجر للبحوث والدراسات القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٣٠- الذخيرة للقرافي تحقيق محمد بو خبزة ط . دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٤ م .
٣١- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم تحقيق شعيب و عبد القادر الأرنؤوط ط .مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
٣٢- سبل الفلاح للشرنبلالي شرح نور الإيضاح ط. دار اليروني دمشق (د.ت).
٣٣- شرح القواعد الفقهية د.مصطفىٰ الزرقا ط.دار العلم دمشق ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٣٤- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي تحـ.محمد حامد الفقي ط.مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٥- فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء جمع و ترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش دار العاصمة الرياض السعودية .
٣٦- كتاب المناسك لأبي زيد عبد الله بن عمر الدبوسي الحنفي تحـ. د.نايف العمري ط. دار المنارة القاهرة ١٩٩١ م .
٣٧- كتاب المناسك لأبي إسحاق إبراهيم الحربي تحـ. حمد الجاسر دار اليمامة الرياض ١٣٨٩ هـ- ١٩٦٩ م.
٣٨- كتاب العين للخليل بن أحمد تحـ. د.مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ط.١ العراق وزارة الثقافة .

٣٩- كتاب وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل وسائل الشريعة تحقيق و طبع مؤسسة آل البيت إيران (د . ت) .
٤٠ - الكشاف للزمخشري تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود و آخرين ط. مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٨ هـ .
٤١ - لسان العرب لابن منظور ط. دار المعارف القاهرة .
٤٢ -لمع الأدلة لابن الأنباري تحـ.سعيد الأفغاني ط.مطبعة الجامعة السورية١٩٥٧م.
٤٣ - مجموعة الرسائل الكبرىٰ لابن تيمية ط. دار إحياء التراث بيروت (د.ت).
٤٤ - مجموع الفتاوىٰ للشيخ ابن عثيمين ط. دار الرياض السعودية .
٤٥ - المجموع للنووي في شرح المهذب للشيرازي تحـ. محمد نجيب المطيعي ط.مكتبة الإرشاد جدة (د.ت) .
٤٦ - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تحـ. عبد الحميد هنداوي ط. دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ م .
٤٧ - المزدلفة أسماؤها – حدودها – أحكامها د. عبد العزيز الحميدي مكة المملكة العربية السعودية .
٤٨ - معجم البلدان لياقوت الحموي ط. دار صادر بيروت ١٩٧٧ م .
٤٩ - مقاييس اللغة لابن فارس تحـ. محمد عبد السلام هارون ط. دار الفكر بيروت ١٩٧٩ م .
٥٠ - المقنع لابن قدامة تحـ. د. عبد الله التركي و د. عبد الفتاح الحلو ط. دار هجر بالجيزة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
٥١ - المنتقىٰ من فتاوىٰ الشيخ صالح الفوزان ط. مؤسسة الرسالة بيروت (د.ت).

٥٢- الموطأ للإمام مالك تحـ. سليم عبد الهادي السلفي نشر مجموعة الفرقان التجارية دبي ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٥٣- نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين تحـ. د.عبد العظيم الديب ط. دار المنهاج جدة ١٤٢٨ هـ .

دوريات

جريدة مكة المكرمة عدد رقم (١٥٧) ٢٠ شعبان ١٤٣٥ هـ .

محتويات الدراسة

مقدمة..... ٣٤١
دوافع الدراسة :..... ٣٤٥
هدف الدراسة :..... ٣٤٦
منهجية الدراسة :..... ٣٤٧
المبحث الأول..... ٣٤٩
مزدلفة في اللغة وسر تسميتها بهذا الاسم..... ٣٤٩
أسماء أخرىٰ لمزدلفة وسر التسمية بها..... ٣٥٥
المبحث الثاني..... ٣٦١
موقع مزدلفة ومظاهر سطحها ومساحتها ٣٦١
أولاً : الموقع:..... ٣٦١
ثانيـًا : مظاهر السطح:..... ٣٦١
المبحث الثالث..... ٣٦٧
حدود مزدلفة : بين الحفاظ علىٰ الموروث وإعادة النظر فيه ٣٦٧
أولاً : بين يدي الموضوع..... ٣٦٧
ثانيـًا : القول بأن الحد الشرقي لمزدلفة يبدأ مع بداية حدود الحرم المكي ناحية عرفـــــة وأدلته..... ٣٧٣
رابعـًا : أدلة تؤيد بقاء مزدلفة علىٰ ما هي عليه..... ٣٨٣

خامسًا : كلمات وردت في النصوص السابقة : ٣٨٦
المبحث الرابع ٣٩٢
حكم المبيت بمزدلفة، ووقته، والقدر الواجب من الوقت للنزول ٣٩٢
أولاً : حكم المبيت ٣٩٢
أ) القول بوجوب المبيت ٣٩٢
ب) القول بركنية المبيت ٣٩٣
ثانيًا : قدر المبيت، وحكم من لم يبت فيه أصلاً. ٣٩٤
وقت المبيت وحكم من فاته : ٣٩٤
المبحث الخامس ٣٩٨
رؤية الدراسة في حدود المزدلفة ومقترحاتها ٣٩٨
أولاً : رؤية الدراسة ٣٩٨
ثانيا : المقترحات : ٣٩٩
المقترح الثالث ٤٠١
المقترح الرابع ٤٠٤
المقترح الخامس ٤٠٤
ملخص ٤٠٧
قائمة المراجع ٤١١
محتويات الدراسة ٤١٦